

الموقف الروسي

تجاه حركة حماس

2010 - 2006



إعداد: وسام أبي عيسى



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الموقف الروسي

تجاه حركة حماس

2010 - 2006

إعداد

وسام أبي عيسى

تحرير

د. محسن محمد صالح



مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات

بيروت - لبنان

The Russian Stance Towards Hamas: 2006-2010

Prepared by:

Wisam Abi 'Isa

Editor:

Dr. Mohsen Moh'd Saleh

جميع الحقوق محفوظة ©

2011 م - 1432 هـ

بيروت - لبنان

ISBN 978-9953-500-96-6

يُمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأي وسيلة تصويرية أو إلكترونية أو ميكانيكية بما في ذلك التسجيل الفوتوغرافي، والتسجيل على أشرطة أو أقراص مدمجة أو أي وسيلة نشر أخرى أو حفظ المعلومات واسترجاعها دون إذن خطي من الناشر.

مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات

ص.ب : 14-5034، بيروت - لبنان

تلفون: +961 1 80 36 44

تلفاكس: +961 1 80 36 43

بريد إلكتروني: info@alzaytouna.net

الموقع: www.alzaytouna.net

تصميم الغلاف

مروة غلابيني

طباعة

CA s.a.r.l., Beirut, Lebanon

فهرس المحتويات

5.....	المقدمة
7.....	التمهيد
17.....	أولاً: لمحة عن السياسة الروسية في المنطقة:
17.....	1. بعد وصول فلاديمير بوتين إلى السلطة
	2. خلفيات ومحددات الموقف الروسي تجاه حركة حماس إثر
22.....	فوزها بانتخابات 2006:
22.....	أ. الخلفيات
24.....	ب. المحددات
29.....	ثانياً: تطورات العلاقة منذ فوز حماس بانتخابات المجلس التشريعي 2006:
29.....	1. بعد فوز حماس في الانتخابات:
29.....	أ. المشهد السياسي
36.....	ب. وسائل الإعلام الروسية
38.....	2. بعد تشكيل الحكومة العاشرة
40.....	3. بعد تشكيل الحكومة الحادية عشرة
42.....	4. بعد سيطرة حركة حماس على قطاع غزة
45.....	5. بعد العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة
47.....	6. تجدد المفاوضات الإسرائيلية - الفلسطينية
52.....	الخلاصة

المقدمة

عندما تسلّم الرئيس فلاديمير بوتين Vladimir Putin قيادة روسيا سنة 2000، كانت صورتها ومكانتها متدهورة، حتى أطلق عليها وصف "الرجل المريض". فقام بوتين بوضع برنامج لتحديث السلطة في روسيا، وبناء الاقتصاد، والانطلاق بسياسة دولية جديدة نحو العالم. فعلى مستوى علاقات روسيا الخارجية، فقد أعلن بوتين أن سنوات الضعف والمهانة قد انتهت، وطالب الولايات المتحدة والغرب بأن تعامل روسيا باحترام، وكقوة لها مكانتها ودورها العالمي. واتجه بوتين إلى بناء علاقات شراكة مع كل من الصين والهند، وإلى استثمار ميراث الاتحاد السوفييتي وما بناه في مناطق مختلفة من العالم، ومن بينها منطقة الشرق الأوسط من أجل تعزيز مكانتها على الساحة الدولية.

وكان أحد مداخل هذا الاستثمار الروسي في منطقة الشرق الأوسط بناء علاقة، تتطور بانتظام، مع حركة المقاومة الإسلامية (حماس) مباشرة بعد فوزها في انتخابات المجلس التشريعي سنة 2006. وبلغت هذه العلاقة أعلى مستوى لها مع زيارة الرئيس الروسي ديمتري ميدفيديف Dmitry Medvedev إلى دمشق، ولقائه رئيس المكتب السياسي لحركة حماس خالد مشعل في أيار/ مايو 2010، معترفاً بشرعية الحركة ومؤكداً بأن حماس بات لها وزن يفرض نفسه لدى دول العالم، التي كانت تتوقع أن حصار الحركة وعزلها سيقضي عليها.

ويتناول هذا البحث تطور دور الاتحاد السوفييتي السابق في التعامل مع القضية الفلسطينية، والمحاولات الروسية الحالية لاستعادة ذاك الدور ولو بأسلوب مختلف. ويسلّط الضوء على الرؤية السياسية الدولية التي وضعها الرئيس الروسي فلاديمير بوتين، والذي استطاع من خلالها نقل روسيا من دولة غير مستقرّة إلى دولة عظمى، عادت لها مكانتها على الساحة الدولية.

كما يتطرق إلى خلفيات الاهتمام الروسي بتطوير علاقته مع حركة حماس، ومحددات تلك العلاقة لدى الجانبيين. ويعرض البحث لتطورات المواقف الروسية من حركة حماس منذ نجاحها في الانتخابات التشريعية سنة 2006، مروراً بتشكيل الحكومتين العاشرة والحادية عشر، وسيطرة حركة حماس على قطاع غزة في حزيران/يونيو 2007، وما تبع ذلك من عدوان إسرائيلي على قطاع غزة نهاية سنة 2008 إضافة لتجدد المفاوضات الإسرائيلية - الفلسطينية.

ويُختتم البحث بخلاصة تنفيذية تعرض أهم المحطات التي مرّت بها علاقة الجانبيين، إضافة لقراءة في كلٍ من مصالح روسيا وحماس من وراء تطوّر هذه العلاقة.

التمهيد

بالرغم من التحولات التي شهدتها الاتحاد السوفييتي وروسيا الاتحادية، وخاصة الداخلية منها، إلا أنها لم تُغفل أهمية المنطقة العربية، فقد شكّلت هذه المنطقة ساحة لاستعراض القوة والنفوذ بين القوى العالمية. وباستثناء فترات متقطّعة وقصيرة، نجد أن الاتحاد السوفييتي ووريثته روسيا يوليان لهذه المنطقة اهتماماً متزايداً.

ومما أعطى المنطقة العربية أهميتها هو ما تشهده من صراع عربي إسرائيلي، والذي شكّل البوابة لدخول القوى العالمية لهذه المنطقة، أحياناً لمصلحة الدول العربية والقضية الفلسطينية، وأخرى لمصلحة خصومها، ويبقى التقاء المصالح هو الحكم في هذه المسألة.

وبعودة سريعة إلى تاريخ تعامل السوفييت مع العرب والقضية الفلسطينية، قام جوزيف ستالين Joseph Stalin بتأييد قرار تقسيم فلسطين سنة 1947، ودعم قيام "إسرائيل" سنة 1948، وكان من بين الأوائل الذين اعترفوا بها. كما أن الاتحاد السوفييتي دعم "إسرائيل" في حرب سنة 1948، وسمح لتشيكوسلوفاكيا بأن تمدّها بالسلاح في فترة الهدنة¹.

إنّ الأسباب وراء توطيد علاقات الصداقة هذه مع "إسرائيل" مرتبطة بعوامل عديدة منها ما هو أيديولوجي، ومنها ما هو مرتبط بعدد من الأهداف السياسية التي لها علاقة بالصراع ما بين الشرق والغرب². فالإتحاد السوفييتي، والذي كان لليهود دور رئيسي في تأسيسه، من حيث الدعم المالي الذي كان أحد أسباب نجاح الثورة الشيوعية سنة 1917³؛ ومن خلال أعداد اليهود في المراكز القيادية والرسمية للحزب والتي بلغت 80% عند تأسيسه⁴، كان يأمل في أن ينال تعاطف اليهود الذين هاجروا من دول المنظومة الاشتراكية إلى فلسطين قبل قيام "دولة إسرائيل"، كما كان يأمل أن ينال ودّ النخبة السياسية الحاكمة والمحسوبة على اليسار الصهيوني الاشتراكي في "إسرائيل"، وذلك من أجل تعزيز نفوذه كقوة فاعلة في الشرق العربي، ومن أجل إضعاف وضع المملكة البريطانية في المنطقة.

وكتيجة لتشجيع السوفييت إقامة دولة "إسرائيل"، تأزمت علاقتهم بالعالم العربي ومالت نحو التوتر والعدائية. ولم يتغير هذا الموقف تجاه العرب إلا بعد موت ستالين ومجيء نيكيتا خروتشوف Nikita Khrushchev إلى الحكم سنة 1954.

بدأت علاقة الإتحاد السوفييتي بتوتر مع "إسرائيل" ابتداءً من سنة 1953، بعد تفجير مقر البعثة السوفييتية في تل أبيب⁵. فقد بدأ السوفييت بمراجعة مواقفهم إزاء القضية الفلسطينية، وأعطت هذه المراجعة ثمارها في 17/4/1956، حيث جاء في تقرير وزارة الخارجية السوفييتية للمرة الأولى بشكل رسمي: "يشدد الكرملين Kremlin على الحاجة الماسة للعثور على تسوية للقضية الفلسطينية من خلال احترام المصالح والحقوق الوطنية المحقة للأطراف المعنية"⁶. وتوج ذلك باعتراف الإتحاد السوفييتي على لسان رئيس وزرائه خروتشوف في أثناء زيارته مصر سنة 1964، بالحقوق الثابتة والمشروعة للشعب الفلسطيني، لكن هذا بقي في إطار اعتبار قضية الشعب الفلسطيني قضية لاجئين⁷.

وعلى الرغم من هذا التغيير في التعابير المستخدمة في التصريحات السوفييتية فإن الموقف السوفييتي، خلال تلك الفترة، لم يحمل أي التزام مباشر تجاه الفلسطينيين، كما أنه لم يتعد عن الدعم النظري لحقوقهم المشروعة.

وفي أيار/ مايو 1964 تأسست منظمة التحرير الفلسطينية (م.ت.ف)، إلا أن السوفييت لم يكثرثوا بذلك، وواصلوا اعتبار القضية الفلسطينية قضية لاجئين فقط⁸. الأمر الذي دفع أحمد الشقيري، رئيس المنظمة الوليدة، إلى التصريح بأن مبادرته للتقرب من موسكو تمّ صدّها، مما لم يترك لديه خياراً آخر سوى الالتفات إلى الصين الشعبية، التي استجابت، آنذاك، بشكل إيجابي وعملي، لمطالب المنظمة⁹. ومع ازدياد العمليات العسكرية الفدائية الفلسطينية داخل الأراضي الفلسطينية المحتلة، بدأ الإتحاد السوفييتي يدين العمل المسلح الفلسطيني، خشيةً من أن يجره ذلك إلى مواجهة مع الولايات المتحدة الأمريكية¹⁰.



وبعد الانقلاب المسلح الذي حصل ضمن صفوف حزب البعث العربي في سورية، والذي أدى إلى خلع الرئيس أمين الحافظ في شباط/ فبراير 1966 ووصول نور الدين الأتاسي إلى السلطة، أخذ الحزب يتعاون سرياً وبشكل متزايد مع موسكو، في الوقت نفسه، أخذ يدعم المقاومة الفلسطينية ويشجع تبني سياسة حرب التحرير الشعبية حيث أنشأ السوريون منظمة الصاعقة. عندها أخذ الموقف السوفييتي بالتغير، وظهر ذلك من خلال البيان السوري - السوفييتي المشترك الذي صدر في نيسان/ أبريل 1966 والذي جاء فيه: "قام الجانبان بتأكيد تضامنهما مع الفلسطينيين العرب، وبالتعبير عن دعمهما لحقوقهم القانونية في نضالهم العادل في وجه الصهيونية". وقد جاء في هذا البيان، ولأول مرة، اعتراف من قبل السوفييت بعدالة نضال الشعب الفلسطيني في مواجهة الصهيونية. وفي أيار/ مايو 1966، اجتمع أحمد الشقيري، مع رئيس الوزراء السوفييتي، ألكسي كوسيجن Alexei Kosegin في القاهرة وتناقشا في القضية الفلسطينية ومشكلة اللاجئين، وبالرغم من ذلك، ظلت التعليقات السوفييتية حول الفدائيين الفلسطينيين قليلة ومتباعدة¹¹.

وفي أعقاب هزيمة حزيران/ يونيو سنة 1967، بدأ الاتحاد السوفييتي يدرك مدى خطورة "إسرائيل" كقوة إقليمية في الشرق الأوسط. وعلى ضوء ذلك أخذت التعليقات السوفييتية المعلنة والمنشورة تنصح العرب بتأجيل انشغالهم بمنظمة التحرير الفلسطينية، وتشير إلى أن الدعوة الفلسطينية لتدمير "إسرائيل" سوف تسيء إلى المصالح العربية في المنطقة. إلا أن ازدياد شعبية المنظمة في العالم العربي خلال الفترة التي تلت هزيمة حزيران/ يونيو 1967، وإثر معركة الكرامة التي حققت فيها قوى المقاومة الفلسطينية انتصاراً معنوياً على "إسرائيل" بالتعاون مع الجيش الأردني في آذار/ مارس 1968، دفعت الرئيس المصري جمال عبد الناصر إلى التقرب من م.ت.ف، مما شجع السوفييت على تغيير موقفهم منها¹².

وفي سنة 1968 أمسكت فتح بزمام منظمة التحرير الفلسطينية، فقرر جمال عبد الناصر اصطحاب ياسر عرفات -الناطق الرسمي باسم فتح آنذاك- في زيارة



إلى موسكو في تموز/ يوليو 1968. وفي أعقاب تلك الزيارة أخذ الإعلام السوفييتي يردد عبارات إيجابية تجاه المقاومة الفلسطينية، وأشار إليهم باعتبارهم: "أنصارنا الفلسطينيين"، وسمح السوفييت لدول أوروبا الشرقية الموالية للمنظومة الاشتراكية بتزويد فتح بالسلاح، رغم امتناعهم عن الاعتراف بقانونية المقاومة الفلسطينية¹³.

لقد دفع الاتحاد السوفييتي قادة فتح نحو انتهاج أسلوب المفاوضات والقبول بالقرار 242 كحل للقضية الفلسطينية. وقد شعر قادة منظمة التحرير الفلسطينية بنشوة الإكبار، وبالانبهار وهم يجالسون قادة أكبر دول العالم ويحاورونهم وجهاً لوجه، وقد جعلهم ذلك حريصين على الإبقاء على رضى السوفييت، وكسب تأييدهم المادي والمعنوي¹⁴.

ظهرت أول إشارة حقيقية إلى إمكانية حصول تغيير فعلي في الموقف السوفييتي الرسمي تجاه منظمة التحرير الفلسطينية في تشرين الأول/ أكتوبر 1969، حين ألقى أحد أعضاء اللجنة التنفيذية للحزب الشيوعي، الكسندر شيبيلين Alexander Chebelin، خطاباً خلال المؤتمر السابع لنقابة العمال في بودابست Budapest، جاء فيه: "نحن نعدّ نضال الوطنيين الفلسطينيين من أجل إزالة نتائج العدوان الإسرائيلي نضالاً تحريراً وطنياً عادلاً في وجه الإمبريالية، وسنقوم بدعمه". وقد دلّ هذا الكلام، لأول مرة، عن عزم السوفييت إعطاء الفلسطينيين مساعدات مباشرة. إضافةً لذلك، فخلال الأسبوع الأول من كانون الثاني/ يناير 1970، خصص التلفزيون السوفييتي برنامجاً كاملاً للمقاومة الفلسطينية. كما قام عرفات بزيارة لموسكو في شباط/ فبراير 1970 على رأس وفد فلسطيني، تلبية لدعوة اللجنة السوفييتية للتضامن الأفرو-آسيوي، والتي نجم عنها زيادة الدعم السياسي والعسكري السوفييتي لمنظمة التحرير الفلسطينية¹⁵.

وفي تموز/ يوليو 1972، لوحظ تعزيز العلاقات السوفييتية - الفلسطينية خلال زيارة عرفات إلى موسكو ولقائه بعدد من موظفي وزارة الدفاع السوفييتية، ونجاحه

في الحصول على مساعدات عسكرية مباشرة. وعُدّت هذه الزيارة أهم بكثير من التي سبقتها، لكونها تمت في الوقت الذي كان يرحّل فيه السادات الخبراء السوفييت من مصر¹⁶.

لقد أدى الإنجاز النسبي للعرب في حرب تشرين الأول/ أكتوبر 1973، إلى تحول في تعامل الاتحاد السوفييتي مع القضية الفلسطينية من قضية لاجئين إلى قضية أرض وشعب. لقد كانت حقيقة هذا التحول هو التعويض عن فقدان مصر، بعدما تخلّت في عهد السادات عن الخبراء الروس وانفتحت على الغرب، بتمتين وتثبيت علاقتهم بـ م.ت.ف من أجل تشكيل جبهة عربية قوية في الشرق الأوسط لمواجهة الولايات المتحدة الأمريكية. وبعد صدور قرار مجلس الأمن رقم 338 ضمن الاتحاد السوفييتي أن يكون له دور في حلّ القضية الفلسطينية، وقد ترأس إلى جانب الولايات المتحدة الأمريكية مؤتمر جنيف للسلام Geneva Peace Conference في كانون الأول/ ديسمبر 1973، والذي تبيّن فيه موقف موسكو تجاه الوضع في الشرق الأوسط، وقد تبلور هذا الموقف في النقاط التالية:

1. ضرورة التزام "إسرائيل" بسحب قواتها من الأراضي المحتلة سنة 1967.
2. الحفاظ على حقّ الدول في أن تحيا بسلام بما فيها "إسرائيل".
3. ضمان الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني.
4. رغبة الاتحاد السوفييتي في أن يكون له دور في عملية التسوية¹⁷.

لقد استمر الوضع مع منظمة التحرير على هذا النحو حتى سنة 1974، حينما حدث تغيير مهم في الموقف السوفييتي تجاه م.ت.ف تمثل في لقاء أندريه جروميكو Andrei Gromyko ممثل الاتحاد السوفييتي لدى الأمم المتحدة بعرفات، مرتين، في آذار/ مارس 1974، حيث قدم لعرفات الدعوة الحكومية الرسمية الأولى لزيارة الاتحاد السوفييتي. لقد قام السوفييت بهذه الخطوة الجديدة من أجل تقوية موقف عرفات من الجدل الدائر داخل أطر م.ت.ف، حول تعديل ميثاقها للقبول بمبدأ الدولة الفلسطينية المستقلة على جزء من التراب الفلسطيني¹⁸، ورفض المنهج السابق الذي يؤكد على



شمولية التحرير كأمر لا يقبل التنازل، إضافةً للتنازل عن الكفاح المسلح كطريق وحيد لتحرير فلسطين¹⁹. وهو الأمر الذي تمّ التوصل له خلال الدورة الثانية عشرة للمجلس الوطني الفلسطيني الذي عقد في 1974/6/8، وقد جاء في البرنامج السياسي الذي تبناه المجلس: "سوف تناضل منظمة التحرير بكل الوسائل الموجودة لديها، وأهمها الكفاح المسلح، من أجل تحرير أرض فلسطين وإقامة دولة وطنية ومستقلة على أي جزء قد يتم تحريره من التراب الفلسطيني"²⁰.

عقب التطور الفلسطيني الداخلي الجديد، حصدت قيادة المنظمة بعض ثمار ذلك سريعاً، فقام عرفات بزيارته الرسمية الأولى إلى الاتحاد السوفييتي في نهاية شهر تموز/ يوليو 1974، نجم عنها تثبيت بعثة دبلوماسية دائمة في موسكو، الأمر الذي أدى لاحقاً إلى فتح مكتب تمثيلي في جنيف سنة 1976²¹؛ واعتراف الزعماء العرب في مؤتمر القمة العربية الذي عقد في الرباط في شهر تشرين الأول/ أكتوبر 1974 بالمنظمة ممثلاً شرعياً ووحيداً للشعب الفلسطيني²²؛ إضافة لدعوة الجمعية العامة للأمم المتحدة للمنظمة للمشاركة في أعمالها، وإلقاء عرفات خطابه فيها في شهر تشرين الثاني/ نوفمبر 1974 والذي أثمر، في النهاية، حصول المنظمة على صفة المراقب في الأمم المتحدة عبر قرار الجمعية العمومية رقم 3237²³.

وفي حزيران/ يونيو 1976 حصلت مواجهة بين القوات السورية والمقاومة الفلسطينية في لبنان، الحليفين للاتحاد السوفييتي، مما وضع السوفييت في موقف حرج وصعب جداً، الأمر الذي دفعهم للتعبير عن استيائهم من الخطوة السورية دون قطع العلاقات معها²⁴، لقد كان السوفييت يميلون بصورة عامة إلى الجانب الفلسطيني. وقد استمرت الأزمة السورية مع منظمة التحرير حتى تشرين الأول/ أكتوبر 1976، حيث نجحت الدبلوماسية السعودية بوقف القتال، مما أشعر السوفييت بالارتياح²⁵.

وبالرغم من توجهات السادات نحو السلام، والتحول من المعسكر السوفييتي باتجاه المعسكر الغربي متمثلاً بالولايات المتحدة الأمريكية، والتي بدأت أولى خطواتها بإنهاء الوجود العسكري السوفييتي في مصر سنة 1972، وانتهاءً بتوقيع اتفاق كامب

ديفيد Camp David Accords سنة 1978 الذي أخرج السوفييت جزئياً من الشرق الأوسط، إلا أن ذلك لم يمنع السوفييت من دعم منظمة التحرير في إطار منافسته للولايات المتحدة الأمريكية في تلك المنطقة، وقد تُوّج ذلك بدعوة ليونيد بريجنيف Leonid Brezhnev -رئيس الاتحاد السوفييتي- لمؤتمر دولي سنة 1981، وذلك لحل أزمة الشرق الأوسط وفقاً للأسس التي وُضعت في مؤتمر جنيف، وكان الجديدي في هذا المشروع هو إشراك منظمة التحرير في المؤتمر كجزء من الطرف العربي²⁶.

وفي أيار/ مايو 1982 اجتاحت القوات الإسرائيلية الأراضي اللبنانية للقضاء على المقاومة الفلسطينية، مما أوقع الإتحاد السوفييتي في حرج جديد. فقد بدت اللامبالاة غالبية في ردة الفعل السوفييتية تجاهه، خصوصاً أن التغطية الإعلامية كانت محدودة جداً، ذلك أن السوفييت كانوا غير راغبين في الدخول في مواجهة مع الولايات المتحدة الأمريكية. ونتيجة للتقصير السوفييتي، بدأت الأصوات العربية ترتفع منتقدة موقفه. وفي مواجهة هذه الانتقادات تميّز الرد السوفييتي بطابع دفاعي، حيث حمّل مسؤولية انهزام الفلسطينيين للخلافات العربية الداخلية وعدم وحدثهم، وللتدريب الفلسطيني الرديء²⁷. وبقية السياسة السوفييتية تجاه المنطقة مستقرّة حتى سنة 1985 والتي شهدت تولي ميخائيل جورباتشوف Mikhail Gorbachev لقيادة الإتحاد السوفييتي.

ومنذ مجيء جورباتشوف شهدت أولويات الإتحاد السوفييتي تغييراً ملحوظاً، فلم تعد الطموحات الخارجية تحتل المرتبة الأولى في سلم الأولويات السوفييتية، وحلّت محلها الأولويات الداخلية من إعادة للبناء والإصلاح.

وهذا أثر بطبيعة الحال على الدور السوفييتي في القضية الفلسطينية، أولاً لأنها لم تعد معنية بإشغال نفسها في القضايا العالمية، وثانياً لأنها غير معنية بتوتير علاقاتها مع الغرب و"إسرائيل"، فعملية البناء الداخلي بحاجة إلى التكنولوجيا الغربية والمساعدات والتعاون في هذا المجال، والدول العربية لا تشكل بديلاً مناسباً للغرب في هذا الجانب²⁸.



لقد كان لانتهيار الاتحاد السوفييتي أثراً سلبياً على القضية الفلسطينية، من ذلك:

- تحول الاتحاد السوفييتي، وكذلك كتلة الدول الاشتراكية، من حالة المنافسة والعداء مع أمريكا وحلفائها إلى حالة من التوافق و"الاسترضاء". مما أسهم في اختلال التوازن السياسي الدولي، الذي كان يستفيد منه الجانب الفلسطيني والعربي إلى حدٍّ ما، عندما كانت هناك حالة من التنافر والاستقطاب تسمح بمجال للمناورة²⁹.
 - قطف الكيان الإسرائيلي ثماراً غالية نتيجة انهيار الاتحاد السوفييتي والدول الاشتراكية، فأعدت هذه الدول علاقاتها الدبلوماسية معه، كما فتحت أبواب الهجرة اليهودية إلى فلسطين المحتلة - خصوصاً من الاتحاد السوفييتي - وقد احتفل الكيان الصهيوني في 2000/5/7 بقدوم المهاجر رقم مليون منذ بداية موجة الهجرة من الاتحاد السوفييتي في أيلول/ سبتمبر 1989، وقام رئيس الوزراء الإسرائيلي إيهود باراك Ehud Barak باستقباله بنفسه. وشملت موجة الهجرة هذه نحو 92 ألف عالم متخصص في شتى المجالات. بينهم عدة آلاف متخصصون في الصناعات النووية، فضلاً عن الكثير من الكفاءات العسكرية العالية، مما زاد من خطورة الكيان الإسرائيلي ومشروعه في المنطقة³⁰.
 - بروز الولايات المتحدة كقوة وحيدة أولى في العالم، خصوصاً بعد حرب الخليج في أوائل 1991، بحيث سعت لإغلاق الملف الفلسطيني بما يخدم مصالح حليفها الاستراتيجي "إسرائيل"³¹.
 - نجاح الولايات المتحدة في جر البلاد العربية إلى مؤتمر السلام العربي الإسرائيلي في مدريد في تشرين الثاني/ أكتوبر 1991، تلتها مفاوضات عربية إسرائيلية مباشرة، تراجعت على إثرها أولوية القضية الفلسطينية بشكل تدريجي، حيث لم تعد القضية صراعاً عربياً فلسطينياً، ولكنها باتت صراعاً فلسطينياً إسرائيلياً³².
- واستمر هذا النهج في تنمية العلاقات الروسية الإسرائيلية والروسية الغربية، حتى مع مجيء بوريس يلتسن Boris Yeltsin، والذي لم يغيّر إلى حدٍّ كبير الخطوط العامة

التي وضعها جورباتشوف، وتطورت العلاقات الروسية الإسرائيلية وبدأ التعاون العسكري بين البلدين. ومن الأمور الداخلية التي أثرت سلباً على الدور الروسي في القضية الفلسطينية، هو أن جانباً مهماً من رؤوس الأموال الروسية أصبح بيد كبار اليهود، والتي أصبحت من الأدوات المهمة التي تشكّل ضاغطاً على روسيا في مواقفها بشأن قضية الشرق الأوسط عموماً. فبرزت مثلاً مجموعة موست بنك Most Bank التي يملكها فلاديمير جوسينسكي Vladimir Ghosenski رئيس مؤتمر المنظمات اليهودية في روسيا، وصاحب أكبر مؤسسة إعلامية غير حكومية، وعلى رأسها القناة التلفزيونية الأكثر أهمية وشهرة أن تي في NTV Russia. وكان يلتسين قد عين بوريس بيريزوفسكي Boris Berezovsky نائباً لسكرتير مجلس الأمن القومي الروسي في تشرين الثاني/ أكتوبر 1996، وهو يحمل الجنسية الإسرائيلية. ويرأس بيريزوفسكي مجلس إدارة عدة مؤسسات صناعية ومالية ضخمة، ويملك أكثر من ربع أسهم مؤسسة التلفزيون القومي³³. وبلغت أملاك اليهود الروس في الاقتصاد الروسي حسب ما نشر في جريدة كوميرسانت الروسية Kommersant في كانون الأول/ ديسمبر 2002 كالآتي: 70% في قطاع النفط والغاز الطبيعي، 100% في قطاع السماد الزراعي، 80% في قطاع صناعة السيارات، 60% في قطاع صناعة الطيران المدني، 85% في قطاع الأخشاب، 70% في قطاع البنوك والمصارف، 80% في قطاع شركات التأمين، 65% في قطاع الإعلام المرئي والمكتوب والمسموع³⁴.

وبالرغم من أن الكثير من المسؤولين العرب سعوا لأن يكون لروسيا دورها المميز في حلّ القضية الفلسطينية، إلا أنهم لم يقدموا لها أيّ مقابل، متجاهلين أن العلاقات الدولية لا تقوم على غير المصالح، ولم يجدوا البيئة التي تشجّع روسيا على أن يكون لها دور في المنطقة.

على هذه الأرضية الهشة قامت المواقف الروسية الخاصة بالقضية الفلسطينية، والتي في طابعها العام تحاول أن تكون أكثر حيادية وموضوعية، دون أن يكون ذلك على حساب مصالحها مع "إسرائيل" والولايات المتحدة الأمريكية.



ومع بداية الألفية الثالثة شهدت منطقة الشرق الأوسط جملة من التطورات ألفت بظلالها على القضية الفلسطينية، ومن أبرزها الحرب على العراق وما سبقها من انطلاق الانتفاضة الفلسطينية الثانية، هذه الأحداث أسهمت بشكل أو بآخر في بلورة مواقف القوى الدولية ومن بينها روسيا بشأن القضية الفلسطينية.

ومع بداية الحديث عن إمكانية الحرب على العراق، أصبحت الولايات المتحدة الأمريكية بحاجة إلى استمالة القوى العالمية لتشكيل أوسع تحالف ممكن من أجل الحرب على الإرهاب. ومن أجل ضمان هذا التحالف، والذي تريده أمريكا، هذه المرة، تحالفاً روسيا وأوروبياً وعربياً وإسلامياً، حاولت الولايات المتحدة الأمريكية استغلال القضية الفلسطينية، فأخرجت للعالم ما عُرف بخطة "خريطة الطريق" على أنها الرؤية الأفضل للسلام الكامل والشامل في الشرق الأوسط بشكل يضمن للفلسطينيين حقوقهم المشروعة. لقد كانت هذه الخطة مجاملةً لروسيا وأوروبا وللأمم المتحدة بإدراجهم كراعين لعملية السلام القائمة على "خريطة الطريق" تحت مسمى اللجنة الرباعية Quartet؛ وفي ذلك تنازل شكلي عن الدور الأمريكي المتفرد في هذه القضية الذي عزل القوى الأخرى عن التدخل فيها³⁵.

كان الهدف من هذا الاستعراض التاريخي لمواقف موسكو من القضية الفلسطينية، محاولة لفهم السياسات الأخيرة لموسكو في الشرق الأوسط والتي تمس بشكل أو بآخر القضية الفلسطينية، فقد شهد العام 2005 سياسات روسية تجاه المنطقة أثارت اهتمام المراقبين والمحللين معرفة مدى قوة هذا التوجه الجديد ودوافعه وإمكانية استمراريته، ويمكن إجمال الدلائل والإشارات التي توحى بظهور مواقف وسياسات روسية جديدة في زيارة بوتين للأراضي الفلسطينية سنة 2005، والدعوة لعقد مؤتمر دولي للسلام في موسكو، إضافة لاستعداد موسكو لدعم السلطة الفلسطينية، وما انفردت به موسكو بين القوى الكبرى، من دعوة قادة حماس لزيارتها بعد فوزهم في انتخابات المجلس التشريعي الفلسطيني³⁶، وأخيراً قيام الرئيس الروسي ديمتري ميدفيديف بلقاء خالد مشعل رئيس المكتب السياسي لحركة حماس في دمشق.



أولاً: لمحة عن السياسة الروسية في المنطقة

1. بعد وصول فلاديمير بوتين إلى السلطة:

يمكننا القول إن الرئيس الروسي السابق فلاديمير بوتين استلم السلطة في وقت كانت البلاد تعيش فيه حالة من عدم الاستقرار السياسي، ولعل هذه المشاكل تعود في الأصل إلى تراكمات مشاكل العهد السوفييتي، وإلى طبيعة توجهات القادة الروس بعد تفكك الاتحاد السوفييتي، واندفاعهم نحو الولايات المتحدة الأميركية والغرب، ظناً منهم بأن مثل هذا التوجه سيعود على روسيا بالمساعدات والدعم الاقتصادي. لقد تمّ الوعي بهذه المشاكل في روسيا خلال الفترة الثانية من رئاسة يلتسين، وقد شرع في محاولة لعلاجها بطريقة منطقيّة، إلا أن الحالة الصحيّة المتردية للرئيس حالت دون تحقيق المستوى المطلوب من الإصلاحات التي تخدم الواقع الروسي.

ويمكننا القول إن بوتين استلم روسيا وهي في حالة انتقالية غير مستقرّة تماماً، وهو ما استلزم منه انتهاج خط وطني صارم بغرض إصلاح الأوضاع، وتدارك الثغرات السابقة من حكم سلفه يلتسين. وبالفعل نجح إلى حدّ كبير في وقف التدهور والتخبط الذي عانت منهما روسيا على امتداد حقبة التسعينيات من القرن العشرين، واستطاع تكوين إدارة قوية للحكم، منطلقاً من رؤيته السياسية الخاصة، والتي تعدّ أهم توجهاتها:

- أ. الحفاظ على الأمن القومي ووحدة الأراضي الروسية من التهديدات الداخلية والخارجية، وذلك من خلال تأكيده على الحاجة لتحسين القدرات القتالية للجيش الروسي من أجل حماية الأمن القومي. كما يرى بوتين أن أي اقتراب من الحدود الروسية أو إقامة قواعد عسكرية في الدول التي كانت خاضعة للنفوذ السوفييتي، هو تهديد مباشر للأمن القومي، يستلزم التصدي له بكل الوسائل.
- ب. الدفاع عن المصالح القومية الروسية: اعتبر بوتين الدفاع عن المصالح القومية على رأس مهماته الاستراتيجية، فعمل على التقارب بين روسيا الاتحادية وبين الدول ذات السياسات المضادة لسياسات الولايات المتحدة.

ج. تطوير العلاقات مع الدول المشاركة في رابطة الدول المستقلة.
 د. التركيز على تفعيل دور الأمم المتحدة لحل الأزمات الدولية، انطلاقاً من إيمان بوتين بفكرة الجهود الجماعية لنزع فتيل النزاعات في كل مناطق العالم المتأزمة. ويستند منطقها هذا إلى العمل على ألا تؤدي النزاعات المحلية أو الإقليمية إلى حدوث مواجهة أو إيجاد توتر بين القوى الكبرى.
 هـ. إقامة علاقات دولية على أسس مصلحية، وهو أمر يدل على الخط الدبلوماسي الجديد الذي انتهجته روسيا في عصر العولمة وحرية الأسواق.
 و. إقرار السلام العالمي وتجنب النزاعات العسكرية والتأكيد على مبدأ التعاون والصداقة مع شعوب ودول العالم كافة، مشيراً إلى أهمية الخط الاستراتيجي في التعاون مع الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي³⁷.
 ز. الدعوة إلى إقامة عالم متعدد الأقطاب، والرفض الحازم لعالم يحكمه قطب واحد، حيث ذكر الرئيس بوتين "أن عالم يحكمه قطب واحد لم يعد مقبولاً، لا بل أصبح مستحيلًا... إن الولايات المتحدة تخضت حدودها القومية بكل الاتجاهات... إن هذا أمرٌ خطير. لم يعد أحد في هذا العالم يشعر بالأمان لأنه لم يعد بالإمكان اللجوء للقانون الدولي"³⁸.

وانطلاقاً من هذه السياسة الجديدة التي وضعها بوتين لروسيا، فإن روسيا تحاول الاقتراب من المنطقة العربية الإسلامية بهدف إقامة نفوذ لها في المنطقة يخدم مصالحها. ويمكن تلمس ثلاث زوايا قد تكون الأكثر تأثيراً في تحديد خلفيات المواقف الروسية في الشرق الأوسط وحيال قضاياها.

فروسيا، كاتحاد أولاً، مهتمة إلى أقصى الحدود بالحفاظ على وحدتها الترابية. وهذا ما فعله بوتين عندما استخدم القوة العسكرية في الشيشان لقمع المعارضة في شمالي القوقاز. وهي عندما تبدي اهتماماً بالعالم الإسلامي، والشرق الأوسط على وجه الخصوص، فهي تأخذ في الاعتبار مشاكلها الداخلية لا سيما مع المسلمين في روسيا تحديداً والمسلمين في الجمهوريات القريية المجاورة³⁹.

الزاوية الثانية، إن تأمين نفوذ روسيا المتزايد في منطقة الشرق الأوسط يُعدّ مرحلياً حاجة حيويّة على طريق استعادة مكانتها كدولة عظمى. إذ إنها ليست منطقة مجاورة وحسب بل هي أيضاً منطقة صالحة في أوضاعها الحالية للحصول من الأميركيين والغربيين على تنازلات⁴⁰، أو اتخاذ مواقف تجاه قضايا المنطقة تكون بمثابة رد فعل على السياسات الأمريكية والأوروبية تجاه روسيا⁴¹. ففي عزّ احتدام الأزمة الجورجية سنة 2008 استقبلت موسكو الرئيس بشار الأسد، وسمعت منه العرض باستقبال الأسطول الروسي في طرطوس والطلب بتزويد سورية بِنُظم دفاع روسيّة مضادة للطائرات وللصواريخ، وانتشر خبر عزم موسكو تزويد إيران بصواريخ أس-300 (S-300)⁴².

الزاوية الثالثة لسياسة روسيا في الشرق الأوسط أصبحت تركز على الاقتصاد لبناء علاقاتها بدول المنطقة. فقد أعلن رئيس الوزراء الروسي سيرجي إيفانوف Sergei Ivanov سنة 2008 أن روسيا التي لم تعد تصدّر الأيديولوجيا، ترغب في تصدير الأعمال. لذلك وإضافة إلى العلاقات مع الدول العربية، لم يعد هناك ما يمنع من تعزيز العلاقة في الوقت نفسه مع دول كانت منوثة للاتحاد السوفييتي السابق مثل "إسرائيل"⁴³.

إن روسيا في الشرق الأوسط تمارس سياسة توازن بين متخصصين، فتحاول أن تقول إنها صديقة للجميع، وإن الأيديولوجيا لم يعد لها مكان في سياستها الخارجية⁴⁴، هي تحاول بنعومة الدخول إلى المنطقة كشريك له مصالح اقتصادية، وليس كبديل للولايات المتحدة⁴⁵.

لكن هذه الاستراتيجية تجعل سياسة روسيا في المنطقة تسير على خيطٍ رخوا ولا تمكّنها من إتمام تحالفٍ ما مع أيّ من الأطراف. ومن هنا تفرّض التناقضات القائمة في الشرق الأوسط نفسها على السياسات الروسية، ولا تمكن موسكو من اتخاذ خطوات واقعية لتنفيذ رؤيتها لأزمات المنطقة، بل وتضطر موسكو في بعض الأحيان أن تسلك

مواقف متعارضة في الملف الواحد، وهذا ما يفسر أن ثمة حدوداً معينة لارتباطات موسكو بدمشق، خاصة فيما يتعلق بنوعية الأسلحة الروسية التي تقدم إلى سورية⁴⁶. وبالرغم من العلاقات الوطيدة التي تربط روسيا بـ"إسرائيل" إلا أن الرئيس بوتين أبدى دعماً لحماس واستقبل بعضاً من مسؤوليها في آذار/ مارس 2006.

وإذا كانت الإدارة الأمريكية استطاعت، بعد أحداث 2001/9/11، أن تُوجد ما أُطلق عليه في الدوائر الغربية وبعض الدوائر العربية محور "المعتدلين العرب"، وتسعى لأن تضع أطرافاً عربية مثل مصر والأردن ودول الخليج مع "إسرائيل" في سلة واحدة، فإن موسكو لا تملك أن تدعم المحور الآخر الذي يُطلق عليه "المحور الرباعي الراديكالي أو المتطرف"، المتمثلاً في إيران وسورية وحركة حماس وتنظيم حزب الله في لبنان، على حساب علاقاتها ومصالحها لدى سائر أطراف المحور الآخر⁴⁷.

إنّ المتأمل في مبادئ السياسة الخارجية التي رسمها الرئيس فلاديمير بوتين خلال فترتي رئاسته من سنة 2000 إلى 2008 يرى أنها قد بدأت تعطي ثمارها خلال فترة حكم الرئيس ديمتري ميدفيديف⁴⁸، الذي يسعى إلى "نظام عالمي جديد متعدد الأقطاب".

فزيارة ميدفيديف إلى كل من أنقرة ودمشق في أيار/ مايو 2010 تدل على أن روسيا قد بدأت تنظر إلى نفسها بطريقة مختلفة. فبعد أن انتهت من ترتيب الوضع الداخلي على صعيد إعادة بناء الدولة على أساس اقتصاد السوق؛ ثم انتقلت إلى ترتيب الحديقة الخلفية ومجال النفوذ الحيوي في القوقاز وآسيا الوسطى والدول المستقلة عن الاتحاد السوفييتي؛ حيث تدخلت عسكرياً في جورجيا في نهاية 2008 لحسم الأمور لمصلحتها؛ وفي نيسان/ أبريل 2010 أيدت موسكو انتفاضة في قرغيزستان Kyrgyzstan أدت إلى خلع الرئيس كورمان باكيف Kurmanbek Bakiyev، وتشكيل حكومة موالية للكرملن؛ كما دعم الكرملين



فيكتور يانوكوفيتش Viktor Yanukovych رئيساً لأوكرانيا لتطوى صفحة "الثورة البرتقالية" التي أنتجت منذ 2004 حكومات موالية لواشنطن؛ كما جرى تمديد عقد الإيجار لقاعدة تابعة للبحرية الروسية في ميناء سيفاستوبول Sevastopol في أوكرانيا على البحر الأسود حتى سنة 2042. انتقلت روسيا بعدها إلى الشرق الأوسط، إذ بعد قيام الرئيس بشار الأسد بزيارة موسكو ثلاث مرات، من سنة 2005 وحتى سنة 2008، وإجرائه حواراً استراتيجياً والبحث في الارتقاء بالعلاقات الثنائية، قام ميدفيديف بزيارة تاريخية إلى دمشق في أيار/ مايو 2010.

إذ أدرك سيد الكرملين بأن أحد مفاتيح المساهمة في اللعبة الدولية موجود في الشرق الأوسط، وأن أحد مفاتيح الشرق الأوسط موجود في دمشق. وضمن هذه الرؤية الواسعة يمكن أيضاً وضع لقاء ميدفيديف مع رئيس المكتب السياسي لحركة حماس خالد مشعل في دمشق⁴⁹، فروسيا التي تسعى لأن يكون لها دور محوري في المفاوضات الإسرائيلية - الفلسطينية، دعت لإشراك حركة حماس في أي مفاوضات قادمة باعتبارها جزءاً مهماً من النظام السياسي الفلسطيني، وأن المحادثات حول فلسطين من دونها مستحيلة.

فاليوم بدأ النظام الأحادي القطبية الذي تسيطر عليه الولايات المتحدة الأمريكية منذ نهاية الحرب الباردة بالتآكل، وأصبحت إدارة باراك أوباما Barack Obama لا تطمح إلا أن تحافظ أمريكا على الدور القيادي بالتعاون مع الدول الكبرى الأخرى.

ولهذا يمكن التقدير بأن مستقبل العلاقات الروسية - العربية عموماً، وعلى الأخص علاقات روسيا بقوى مقاومة الاحتلال الأمريكي والصهيوني، سيتوقف في حراكه على الخط البياني للعلاقات الأمريكية - الروسية، والروسية - الأوروبية. وهذا أمر طبيعي بعد أن تحوّلت روسيا على يد الرئيس فلاديمير بوتين إلى دولة كبرى، مرّة أخرى⁵⁰.



2. خلفيات ومحددات الموقف الروسي تجاه حركة حماس إثر فوزها بانتخابات 2006:

أ. الخلفيات:

عادت اهتمامات روسيا بالمنطقة لتظهر بقوة بعد زيارة الرئيس فلاديمير بوتين سنة 2005 إلى فلسطين المحتلة، ومحاولته الدخول على خط العملية السلمية الجارية بين الفلسطينيين والإسرائيليين.

ففي نيسان/أبريل 2005 فاجأ الرئيس الروسي فلاديمير بوتين العالم بزيارة تاريخية للضفة الغربية، والتي أجمع المراقبون على أنها محاولة روسية لاستعادة دورها في المنطقة، وفي إطار السعي الروسي الحثيث للعب دور مستقل عن الإرادة الأمريكية، وباعتبار القضية الفلسطينية الأكثر أهمية، فإنها تشكل مدخلاً مناسباً لمثل هذا الدور. ففي ظلّ حالة من الركود السياسي في المنطقة، لم يتردد الرئيس الروسي في دعوة الأطراف المعنية لعقد مؤتمر دولي للسلام في موسكو، كما أعلن عن استعداد بلاده لدعم السلطة الفلسطينية بتجهيزات عسكرية، قد تساعد في بسط نفوذها على أراضيها. إلا أن "إسرائيل" ومعها الولايات المتحدة رفضتا دعوة بوتين للمشاركة في المؤتمر، كما واجه رفضاً إسرائيلياً قاطعاً بالسماح للمعدات العسكرية الدخول إلى أراضي السلطة.

ويرى الباحث الفلسطيني بلال الشوبكي بأن هذه الزيارة ما هي إلا جزء من البطاقات السياسية التي يحملها بوتين من أجل مناكفة الولايات المتحدة الأمريكية، في إطار سعي موسكو لتحقيق أكبر المنافع سواء ضمن عضويتها في الدول الثماني الكبرى (G-8)، أو في إطار علاقتها مع الاتحاد الأوروبي ودول أوروبا الشرقية التي تعدّ منطقة نفوذ مهمة لروسيا، والتي تمّ اختراقها من النفوذ الأمريكي. وما يدعم هذا التوجه لتفسير هذه الزيارة هو عدم خروجها بنتائج عملية تختلف عن التوجه الأمريكي، فقد أكد بوتين على ضرورة تنفيذ خريطة الطريق، والتأكيد على دور روسيا

ضمن اللجنة الرباعية، وضرورة تحقيق الأمن لـ"إسرائيل"، وفي هذا دلالات واضحة على أن روسيا لم تُرد من هذه الزيارة إلا التلويح للولايات المتحدة الأمريكية، بعدم تجاهلها في كل ما يدور من أحداث على الساحة الدولية⁵¹.

وفي كل الأحوال فإن هذه الزيارة لم تحقق طموحات موسكو. ولذلك بقيت موسكو في حالة ترقّب لأي فرصة يمكن اغتنامها للدخول من خلالها إلى قلب الأحداث في الشرق الأوسط، وفي ظلّ هذا الترقّب الروسي جاءت الانتخابات التشريعية الفلسطينية لتشكل فرصة جديدة لموسكو تُبيّن من خلالها للعالم أن لها دوراً مستقلاً تجاه القضايا الدولية. فما كان من الرئيس الروسي فلاديمير بوتين إلا أن وجه دعوة لقيادة حركة حماس لزيارة موسكو في بداية آذار/ مارس 2006.

إن هذه الدعوة عرّضت موسكو لاتهامات بأنها تتعامل مع حركة إرهابية، الأمر الذي دفع موسكو لمواجهة هذه الاتهامات من خلال التأكيد على شرعية حركة حماس كممثل منتخب عن الشعب الفلسطيني. ومن الواضح أن روسيا، بالرغم من دعوتها لحركة حماس لزيارة موسكو، لم تكن راغبة في شيء أكثر من التلويح لأمريكا أنها ما زالت قادرة على المناورة؛ فقد سارعت بعد الدعوة التي أثارت الجدل إلى التأكيد على أن موسكو لكونها جزءاً من الرباعية، ستتعامل مع حماس، وستنقل وجهة نظر اللجنة الرباعية إلى قادة الحركة، وأنها ستدعو حماس إلى نبذ العنف والاعتراف بـ"إسرائيل"⁵².

ويرى بعض المحللين بأنه لا يمكن قراءة الخطوة الروسية المتمثلة في دعوة الرئيس الروسي بوتين لوفد من حركة حماس لزيارة موسكو، إلا كونها ضمن التوجه البراجماتي للقيادة الروسية. إن البُعد الآخر للدعوة الروسية، هو مدى إمكانية توظيف هذه العلاقة في الصراع الروسي - الشيشاني، وما يمكن أن تقدّمه حركة حماس في هذا السياق⁵³. فروسيا تريد رفع مستوى العلاقات مع المسلمين إجمالاً، لما لذلك من تأثير على المسلمين في المناطق الروسية الجنوبية⁵⁴.

والتابع للعلاقات الروسية مع حركة حماس، يلاحظ بأن روسيا لم تستطع الاستفادة من هذه العلاقات في إثبات وجودها في المنطقة، إذ اقتصر الدور الروسي منذ فوز الحركة بالانتخابات وحتى نهاية سنة 2008، على محاولة إقناع الحركة بالالتزام بشروط الرباعية، وابتعادها عن استخدام ما تسمّيه موسكو العنف، رغبةً منها في الظهور بمظهر المؤثر في المنطقة في حال استجابة حماس مع جهود موسكو. وهو ما ظهر من خلال استياء موسكو الشديد من حركة حماس، بعد عملية الحسم العسكري الذي قامت به الحركة في حزيران/ يونيو 2007 في قطاع غزة، إذ قامت موسكو على إثر ذلك بإعلان دعمها لأبي مازن كرئيس شرعي ووحيد للسلطة الفلسطينية، ورفضها لاستقبال قادة الحركة في موسكو، مع إبقاء باب الحوار مفتوحاً مع الحركة. لتعود وتتجدد هذه اللقاءات بين موسكو وقيادات الحركة خلال سنة 2008 بعد الحرب الروسية - الجورجية، كرد فعل على دعم "إسرائيل" لجورجيا على حساب روسيا.

إن نتائج الحرب التي شنتها "إسرائيل" على قطاع غزة في نهاية سنة 2008 وبدايات 2009، والتي خرجت منها حركة حماس بانتصار نسبي، أدى لتغيّر في علاقة روسيا بحركة حماس. فبعد الحرب أصبحت روسيا تدعو إلى ضرورة إشراك حماس في العملية السلمية في الشرق الأوسط باعتبارها قوة لا يمكن تجاوزها، وإلى ضرورة إتمام المصالحة بين حركتي فتح وحماس. وهذا ما بدى من خلال دعوة موسكو لوفد من الحركة لزيارتها، وقيام الرئيس الروسي ديمتري ميدفيدف بلقاء رئيس المكتب السياسي لحركة حماس خالد مشعل في دمشق خلال أيار/ مايو 2010.

ب. المحددات:

من الواضح أن روسيا لديها رغبة منذ فترة للقيام بدور في منطقة الشرق الأوسط، لكن غالبية تصوراتها كانت مكبلة بتصرفات قوى ممانعة لأي نشاط يقترب أو يخرط في قضايا إقليمية ساخنة، استناداً إلى اعتقاد يقول بأن ذلك سيؤدي لخلط أوراق قديمة أو يُحدث تحولاً في بعض الموازين التي رسّختها سياسات الولايات المتحدة لحساب

”إسرائيل“. لذلك يمثّل استمرار الدور الروسي في المنطقة وتفاعله مع مشكلاتها عبر حركة حماس أو غيرها من القنوات والأزمات، نقلة نوعية في الاهتمام بشؤون المنطقة وضبط أجزاء من مفاصلها بصورة قد يكون بها شيء من العقلانية، خاصة أن تأييداً أوروبياً وخاصةً فرنسياً ظهر لدعوة روسيا حركة حماس لزيارتها، وهو ما يشي باحتمال زيادة مساحة الخروج عن النص الأمريكي الذي وضع مفاتيح الصراع العربي - الإسرائيلي في يده⁵⁵، ويرتكز الدور الروسي في تحركه على مجموعة من العوامل منها:

1. روسيا:

- اعتماد روسيا في بناء علاقاتها على البراجماتية بدلاً من الأيديولوجية لخدمة مصالحها.
- ترغب روسيا في لعب دور في حلّ الصراع العربي الإسرائيلي كي تبرز كقوة كبيرة على الساحة الدولية، حيث تريد روسيا من المجتمع الدولي أن يدرك مدى تأثير الكرملين على حركة حماس، ومن خلال لعب دور مستقل عن الإرادة الأمريكية، خاصة وقد وجدت روسيا أن دورها على الساحة الدولية قد تقلص إلى حدّ كبير، وأن الدول الغربية تعمل على حصارها داخل حدودها وإضعافها اقتصادياً.
- انزعاج روسيا من عدم انعقاد مؤتمرها للسلام بسبب التفرد الأمريكي وتهميش دورها في عملية السلام، إذ تريد أن تقول إنها الوحيدة القادرة على التحدث مع جميع الأطراف الفاعلين في المنطقة.
- تريد روسيا لكونها عضواً في الرباعية، أن تلعب دور الوسيط الذي يمثّل وجهة نظر ومصالح الغرب، من خلال نقل رسالة من المجتمع الدولي لقادة حماس بضرورة تغيير موقفهم واتخاذ قرارات مسؤولة لما فيه مصلحة الشعب الفلسطيني، من خلال احترام حماس لكافة الاتفاقيات الموقعة مع الحكومة الإسرائيلية، وأن لا تقوم بما تسميه روسيا أعمال عنف، وأن تعترف بحق ”إسرائيل“ في الوجود.

- تسعى روسيا من خلال علاقة مميزة مع حركة حماس، إلى تعديل صورتها لدى العالمين العربي والإسلامي، التي تشوهت كثيراً بفعل حربها في الشيشان. فروسيا تعرف تماماً مكانة حركة حماس لدى العالمين العربي والإسلامي، والتي ستعكس عليها إيجاباً فيما يتعلق بمشاكلها الداخلية.
- تأمل روسيا من خلال تقاربها مع حركة حماس، الانفتاح على المجموعات الإسلامية واسعة الانتشار في مناطق وجمهورية الاتحاد الروسي، الذي قد يساعد الإدارة الروسية في التصدي لتزايد تأثير المجموعات اليهودية المستندة إلى النفوذ الاقتصادي والمالي.
- تسعى روسيا من وراء الحوار للتعرف عن قرب على وجهة نظر الحركة من كافة القضايا، والاستفادة من الحوار لمعالجة بعض الملفات الساخنة، كقضية الأسير الإسرائيلي جلعاد شاليط Gilad Shalit، الذي تحتجزه حركة حماس في غزة.
- تنطلق روسيا بالحوار مع حركة حماس من رغبتها في أن تقبل الحركة في نهاية المطاف بشروط الرباعية، ولتكرر تجربتها الناجحة في عهد الاتحاد السوفيتي مع حركة فتح، والذي دفع فتح في فترة السبعينيات من القرن العشرين نحو انتهاج أسلوب المفاوضات، والقبول بالقرار 242 كحل للقضية الفلسطينية.
- تسعى روسيا من وراء الحوار مع حركة حماس إلى إشراك الحركة في عملية السلام في المنطقة، والعمل على احتواء دورها على الصعيد العسكري، ودفعها لاتخاذ خيارات سياسية وتعزيز مشاركتها في الحياة السياسية، تمهيداً لإنهاء دورها المقاوم.
- تنطلق روسيا في تعاملها مع حركة حماس من عدم اعتبارها منظمة إرهابية، فقد وصلت إلى الحكم كنتاج للعملية الديمقراطية التي شهد العالم على نزاهتها وشفافيتها.
- يوجد لدى روسيا قدر أكبر من المصالح الاقتصادية داخل "إسرائيل" عما عليه الحال مع حركة حماس ومن يدعمها؛ كما توجد مشروعات مشتركة بين الروس والإسرائيليين في الصناعات الثقيلة والطيران والطاقة



والطب⁵⁶؛ فقد وصل حجم التبادل التجاري بين البلدين منذ بداية سنة 2010 إلى 1.15 مليار دولار، حسبما ذكر وزير خارجية "إسرائيل" أفيجدور ليرمان Avigdor Lieberman في 2010/11/18⁵⁷، وازداد عدد السياح الروس بنسبة 45% وبلغ 380 ألف سائح حتى أيلول/ سبتمبر 2010، كما ذكرت سفيرة "إسرائيل" في روسيا⁵⁸.

- وجود أكثر من مليون يهودي - روسي⁵⁹، وهؤلاء يشكلون اليوم حوالي 22% من إجمالي السكان في "إسرائيل"⁶⁰. وقد صرح فلاديمير بوتين لجريدة الأهرام المصرية في نيسان/ أبريل 2005 بأن روسيا مهمة بمصير هؤلاء.

2. حركة حماس:

- حاجة حركة حماس إلى صوت دولي كبير يدافع عنها، وينفي عنها صفة الإرهاب، ويشترع وجودها ودورها في المجتمع الفلسطيني.
- تعدّ حركة حماس علاقاتها مع روسيا اختراقاً حقيقياً لجدار الحصار الدولي المفروض عليها، وتخفيفاً من حدة الحصار المضروب عليها وعلى قطاع غزة، وترى أن موسكو قادرة على بذل جهودها الدولية لرفع الحصار المفروض على سكان قطاع غزة، والتخفيف من المعاناة الكبيرة التي يعانيها السكان.
- تتطلع حماس إلى قيام روسيا بالتخفيف من شروط الرباعية الدولية، التي تحوّل شروطها دون رفع الحصار المفروض عليها وعلى أهل غزة، والتي تقف حجر عثرة أمام مسيرة الحوار الوطني الفلسطيني، حيث تضع السلطة الفلسطينية أمام حماس شرط الاعتراف بشروط الرباعية لإتمام المصالحة الداخلية الفلسطينية.
- تطمح حركة حماس في الحصول من روسيا إلى جانب الدعم السياسي، على دعم مالي للحكومة الفلسطينية في قطاع غزة، ولعل خطوةً روسية بهذا الاتجاه قد تدفع الكثير من الدول العربية إلى القيام بمشاريع اقتصادية في القطاع، من أجل تحسين أوضاع السكان الاقتصادية والاجتماعية، والتي تدهورت كثيراً بفعل الحصار والعدوان الإسرائيلي الأخير عليه.

- ترى حماس أن دوراً لموسكو في المنطقة سيحدث توازناً في القوة مع الولايات المتحدة الأمريكية.
- تتطلع حركة حماس إلى أن تقوم روسيا بتشجيع دول الاتحاد الأوروبي المترددة لفتح علاقات مباشرة معها، وتقنعها بأن الانفتاح على الحركة يخدم كثيراً الاستقرار في المجتمع الدولي، وأن إقصاءها وفرض الحصار عليها، وإنكار دورها وجمهورها، ينعكس سلباً على العملية السياسية.
- ترى حماس أن انفتاح موسكو عليها ليس بالضرورة حرصاً على المصالح الوطنية الفلسطينية، بقدر سعيها لتحقيق مصالحها في المنطقة. لذلك فالحركة من جانبها تتجاوب مع روسيا بما يخدم مصالح الشعب الفلسطيني.

ثانياً: تطورات العلاقة منذ فوز حماس بانتخابات المجلس التشريعي 2006

1. بعد فوز حماس في الانتخابات:

أ. المشهد السياسي:

عُقدت الانتخابات التشريعية الفلسطينية في 2006/1/25، وفازت حركة حماس فيها؛ إذ حصدت 74 مقعداً من أصل 132، بينما حصلت حركة فتح على 45 مقعداً⁶¹. وشكّل فوز حركة حماس صدمةً بالغة لقيادة السلطة الفلسطينية، ولـ”إسرائيل“ وللعديد من الدول العربية والغربية.

بناءً على هذه النتائج أعلن الرئيس الروسي فلاديمير بوتين من مدريد الخميس 2006/2/9 أنه سيدعو قريباً مسؤولين في حماس إلى موسكو لإجراء مباحثات حول مستقبل عملية السلام بين ”إسرائيل“ والفلسطينيين. كانت هذه الدعوة بمثابة القنبلة التي انفجرت في الساحة السياسية الدولية، إذ اعتُبرت كسراً لحاجز العزلة الغربي والحصار الأمريكي، وهو ما أكدته وزيرة الخارجية الإسرائيلية تسيبي ليفني Tzipi Livni التي وصفت الدعوة الروسية لوفد حماس بأنها ستحدث شرخاً في جهود عزل الحركة دولياً⁶². بينما وصف وزير المالية الإسرائيلي مائير شطريت Meir Sheerit دعوة بوتين بأنها ”طعنة في الظهر“⁶³. وقال مارك ريجيف Mark Regev المتحدث باسم وزارة الخارجية الإسرائيلية إنه ”يتعين ألا تجرى محادثات مع حماس حتى تعترف بحق إسرائيل في الوجود وتبذ الإرهاب وتقبل بعملية السلام في الشرق الأوسط“، على حدّ تعبيره⁶⁴.

ورداً على الانتقادات التي وُجّهت لموسكو بسبب هذه الدعوة قال سيرجي لافروف Sergey Lavrov، وزير الخارجية الروسية: ”إن روسيا لا تعدّ حماس منظمةً إرهابيةً“، مشيراً إلى أنها ”تعدّ جزءاً من واقع التسوية بكلّ سلبياته وإيجابياته“. ولم

يستبعد لافروف إجراء اتصالات مع حماس في المستقبل، لكنه شدّد على أن "من يريد أن يعمل في البرلمان والسلطة، لا يجوز أن يكون مسلّحاً"، مُعرباً عن اعتقاده بأن مسألة تشكيلات حماس المسلّحة ستجد طريقها إلى الحل⁶⁵.

ومن جانبها اشترطت اللجنة الرباعية في 2006/2/1 على حركة حماس التخلي عن العنف والاعتراف بـ"إسرائيل" إذا ما أرادت الإبقاء على المساعدات الدولية، ومنحتها مهلة شهرين إلى ثلاثة أشهر للموافقة على تلك الشروط⁶⁶.

أعلن الرئيس الروسي فلاديمير بوتين "إن على الأسرة الدولية أن تواصل تقديم المساعدات للفلسطينيين رغم فوز حركة حماس في الانتخابات التشريعية الأخيرة". وقال بوتين في كلمته أمام الكرملين، إن "رفض تقديم المساعدات للشعب الفلسطيني سيكون خطأ في مطلق الأحوال". ووصف فوز حماس بأنه "ضربة قوية للجهود الأمريكية في الشرق الأوسط". وأضاف بوتين "إن موقفنا حيال حماس يختلف عن موقف الولايات المتحدة وأوروبا الغربية. إن دبلوماسيتنا لم تعتبر يوماً حماس بمثابة منظمة إرهابية وهذا لا يعني أننا نقبل بحماس ونوافق على كل ما تفعله"⁶⁷.

وفي ردٍ على خطوة موسكو، أشار المتحدث باسم الخارجية الأمريكية شون ماكورماك Shon McCormack إلى أن "واشنطن تتوقع من روسيا أن تدعم المطالبات الدولية بتخلي حماس عن المقاومة المسلحة والاعتراف بإسرائيل"، وأكد "إننا لن نجري أي اتصالات أو نلتقي منظمات إرهابية" في إشارة ضمنية إلى حماس⁶⁸.

أشادت حركة حماس في غزة، بتصريحات بوتين، وأكد المتحدث باسم الحركة سامي أبو زهري، أن الاعتراف بحكومة حماس وعدم تصنيفها على أنها منظمة إرهابية هو "موقف يُثمن للرئيس الروسي"⁶⁹. وأكد رئيس المكتب السياسي لحركة حماس خالد مشعل أن المسؤولين في الحركة سيستجيبون لدعوة بوتين لزيارة موسكو، مشيداً بالسياسة الروسية في الشرق الأوسط. ووصف مشعل موقف بوتين بأنه شجاع، وسيؤدي إلى قدر من التوازن في الموقف الدولي، معتبراً أن "عرش النفوذ الأمريكي بدأ يهتز"، على حدّ قوله⁷⁰.

نتيجةً لمواقف واشنطن وتل أبيب المعارضة بشدة لخطوات موسكو، أعلن ألكسندر كالوجين Alexander Kalugin، مبعوث وزير الخارجية الخاص إلى الشرق الأوسط في حديث لوكالة إيتار تاس الروسية للأخبار Itar Tass تعليقاً على تصريحات بوتين "إن روسيا تأمل في جذب حماس إلى المتطلبات الدولية واجتذابها للحوار مع إسرائيل"⁷¹. مضيفاً "سنصرّ على أن تعترف حماس بحق إسرائيل في الوجود... فمن دون ذلك سيكون من الصعب الترتيب لأي حوار"⁷². بينما قال وزير الدفاع الروسي سيرجي إيفانوف على هامش زيارته إلى إيطاليا بأن المجتمع الدولي سيتعامل بمرور الزمن مع حركة حماس، وأوضح "أجلاً أو عاجلاً سيقوم المجتمع الدولي، بما في ذلك أعضاء اللجنة الرباعية الخاصة بالشرق الأوسط، بإقامة علاقات مع حركة حماس"⁷³.

اتخذت فرنسا موقفاً يؤيد ضمناً القرار الروسي، وقال نائب المتحدث باسم الخارجية الفرنسية دينيس سيمونو Denis Simonneau إن فرنسا تشارك روسيا رغبتها بجعل حماس شريكاً في عملية السلام قادراً على إقامة دولتين إسرائيلية وفلسطينية تعيشان بسلام جنباً إلى جنب. وأكد أن المبادرة الروسية التي اتخذت من دون التشاور مع الشركاء في اللجنة الرباعية، يمكن أن تعزز المواقف، إذا كانت متوافقة مع المبادئ والأهداف التي حددتها اللجنة الرباعية⁷⁴.

في هذا الإطار شدد سامي أبو زهري الناطق الرسمي باسم حماس على أن الضغط الدولي لن يحمل حركة حماس على تغيير موقفها حيال "إسرائيل" وقال: "لن يحملنا الضغط من جانب الرئيس الفلسطيني محمود عباس ولا التهديدات من قبل الولايات المتحدة والغرب بإيقاف المساعدة إلى الشعب الفلسطيني على تغيير موقفنا، فحماس ترفض الاعتراف بإسرائيل التي ترفض الاعتراف بشعبنا وحقوقنا والانسحاب من أراضيها"⁷⁵.

حاولت "إسرائيل"، من جانبها، عرقلة زيارة وفد الحركة إلى موسكو بكل الطرق، فمع اقتراب موعد المشاورات المتوقعة في موسكو تصاعدت الحملة المعارضة لقرار الرئيس بوتين فتح حوار مع قادة حماس، وانشغلت وسائل الإعلام الناطقة بالروسية

المالية لـ"إسرائيل" بشن هجوم مركّز على تحرك الكرمليين، وإظهار ما وصفته بأنه "ارتباط وثيق للحركة بمنظمات إرهابية دولية بينها القاعدة والانفصاليون الشيشان"، ونقل بعضها تفاصيل تقرير موسع نشره موقع وزارة الخارجية الإسرائيلية الإلكتروني زعم أن حماس واصلت خلال السنوات الماضية تعاوناً وثيقاً مع قادة الانفصاليين في الشيشان والترويج لهم. فيما عدّ يفجينى بريماكوف Yevgeny Primakov أبرز مهندسي السياسة الروسية حيال الشرق الأوسط، أن وضع شروط للحوار مع حماس هو "سياسة غير بناءة"، واتهم "إسرائيل" بتعمد إعاقة حدوث تحول إيجابي في مواقف الحركة، مذكراً بأن منظمة التحرير سارت نحو الاعتراف بـ"إسرائيل" على مراحل عدة، لذلك يجب "عدم إعاقة التطور الطبيعي الذي سوف تصل إليه الحركة لاحقاً"⁷⁶.

وفي 2006/2/27 أعلن ألكسندر كالوجين "أن وفد حماس الذي تقررت زيارته في مطلع آذار/ مارس 2006 سيُجرى عدداً من المشاورات مع المسؤولين في وزارة الخارجية الروسية"⁷⁷. وقررت قيادة حماس أن يرأس الوفد رئيس مكتبها السياسي خالد مشعل، على أن يضم في عضويته نائبه موسى أبو مرزوق ومحمد نزال وسعيد صيام وسامي خاطر وعزّت الرشق⁷⁸، في الوقت الذي عكفت فيه الحركة على دراسة ورقة إطار اقترحتها عليها موسكو تتضمن مجموعة من الأسس السياسية، أبرزها التزام قيادة حماس بقبول حلّ سياسي يقوم على أساس قرارات الشرعية الدولية، وتجنب استهداف المدنيين على طرفي الصراع، ورفض العنف، والتزام الحل السياسي والسلمي كخيار استراتيجي.

أكد ألكسندر كالوجين على أن الاعتراف بـ"إسرائيل" والتخلي عن العنف وتنفيذ الاتفاقات التي تمّ التوصل إليها سابقاً هي الغايات التي تبتغي الأسرة الدولية بلوغها، وقال: "هذه هي الاتجاهات التي ستناقش في موسكو". ولكن لا أحد يعرف مدى استعداد حماس للتقدم في هذه الاتجاهات، مشدداً في الوقت نفسه على أهمية أن يصل وفد حماس إلى موسكو حيث سيجري معه محادثات جديّة في كافة الاتجاهات،

التي نُسقت ضمن اللجنة الرباعية للتسوية⁷⁹، كما قال: ”لن نضع مطالب أمام حماس، وإنما سنحاول إقناعهم بأنه حان الوقت لاتخاذ قرارات مسؤولة. فعند الوصول إلى السلطة وتشكيل الحكومة، يتوجب عليهم إدراك المسؤولية الكبيرة التي ينطوي عليها ذلك“⁸⁰.

من جهته، قال رئيس الوزراء الفلسطيني المكلف إسماعيل هنية ”إن الكرة في ملعبنا ونريد من إسرائيل أن تعترف بحقوقنا وبعودة اللاجئين وبإطلاق سراح الأسرى وبالاعتراف بدولتنا وعاصمتها القدس الشرقية. بعد ذلك، تقدم حماس على صياغة وجهة نظرها“⁸¹. وأكد هنية قبيل الزيارة الرسمية التي سيقوم بها وفد الحركة إلى موسكو على أن مسائل الوضع السياسي والاقتصادي في فلسطين، وشؤون التعاون العسكري ستكون من المواضيع التي ستناقش في اللقاء. وذكر بأن قيادة حماس تأمل في أن تلعب روسيا دوراً كبيراً في عملية التسوية في الشرق الأوسط، وتساعد البرلمان الفلسطيني الجديد في الدفاع عن حقوق الشعب الفلسطيني في النزاع مع ”إسرائيل“⁸².

وفي حديث إلى وكالة ريانوفوستي RIA Novosti الروسية قال موسى أبو مرزوق إن روسيا ”تستطيع أن تملأ الفراغ الذي أحدثته أخطاء سياسة الولايات المتحدة في الشرق الأوسط“⁸³. وفي حديث آخر قال: ”من الاستحالة. يمكن طبعاً أن تتطابق رؤية حماس ورؤية روسيا بالكامل فيما يتعلق بالملف الفلسطيني، لكننا في النهاية نحن أصحاب هذا الملف، وآثاره تنعكس على أبناء شعبنا بشكل مباشر، وبالتالي لا يمكن أن تتطابق وجهة نظرنا مع أي طرف من الأطراف بشكل كامل خاصة الأطراف الأوروبية“، وأضاف: ”أعتقد أن اختراق روسيا هو فاتحة خيرّة لاختراقات أخرى معلنة وغير معلنة في الساحة الأوروبية“⁸⁴.

وبعد انتهاء المحادثات، نقلت وكالة نوفوستي الروسية عن لافروف قوله إن قادة الحركة ”أكدوا أن حماس ستنفذ جميع الاتفاقات السابقة الخاصة بتسوية نزاع الشرق الأوسط، بما فيها خريطة الطريق ومبادرة السلام العربية، التي تتضمن الاعتراف



بإسرائيل في مقابل تسوية جميع مسائل الاحتلال، بشرط أن يسير كلا الطرفين في هذا الاتجاه“. وأوضح لافروف أن ”الجانب الروسي أبلغ قادة حماس أن اللجنة الرباعية ترى ضرورة الالتزام بالاتفاقات التي أشارت إليها الرباعية في بيانها الصادر في كانون الثاني/ يناير 2006، بما فيها الاعتراف بحق إسرائيل في الوجود، ورفض استخدام العنف كوسيلة لتحقيق أهداف سياسية“⁸⁵، وقال لافروف ”إننا راضون عن المحادثات“. بينما نقلت أسوشيتد برس Associated Press عن لافروف قوله ”لا أعتقد أنه سيكون لحماس أي مستقبل جدّي، ما لم تتغير“⁸⁶، مضيفاً أن حماس بحاجة إلى ”أن تعيد تقييم دورها الجديد، وهو الذي ربما لم تكن على استعداد لتقوم به حين أجرت الانتخابات“⁸⁷.

خلال المؤتمر الصحفي مع لافروف قال مشعل، إن ”الكرة الآن في الملعب الإسرائيلي، وعلى إسرائيل أن تعترف بالحقوق الوطنية الفلسطينية“، مضيفاً أن ”الحركة مستعدة للسير قدماً قدر الإمكان، وكل شيء مرتبط بسياسة إسرائيل“. مشيراً إلى ”أن الحركة لا تنوي الاعتراف بإسرائيل“، متسائلاً: ”من يعترف بمن؟ أين هي حدود إسرائيل من أجل أن يُطلب من الفلسطينيين الاعتراف بها؟ ياسر عرفات ومحمود عباس اعترفاً بإسرائيل، فهل أدى ذلك إلى تغيير المواقف الإسرائيلية؟“ وتابع ”عندما تحدّث الروس معنا في هذا العنوان [المفاوضات] وفي عناوين أخرى، أكدنا موقفنا الواضح أننا سنتعامل مع الأمر الواقع القائم، بما يخدم مصالح الشعب الفلسطيني“⁸⁸.

عدّت هذه الزيارة اختراقاً روسياً لمنطقة الشرق الأوسط والتي تسيطر عليها أمريكا بامتياز، وقال ألكسندر مالاشينكو Alexander Malashenko من مركز كارنيجي Carnegie Endowment في موسكو ”بالنسبة لبوتين إنها فرصة للعودة إلى الشرق الأوسط. قد يتمكن من أن يجد طريقاً بين البراجماتيين والمتشددين في حماس أو برنامجاً لقاعدة أوسع للمفاوضات“. ومن جانبه قال فكتور كريمينيوك Victor Kariminyuk من معهد دراسات الولايات المتحدة وكندا في موسكو ”هناك منافسة بين روسيا والولايات المتحدة وأوروبا في الشرق الأوسط تزايدت مع الحرب



في العراق، وأضاف كريمينيك ”إنه [بوتين] يحاول ربما توجيه إشارة إلى الجالية المسلمة في روسيا. هذا يغيّر صورة روسيا التي ترفض من جهة أخرى التفاوض مع الشيشانيين“⁸⁹.

في حين رأت واشنطن أن هذه الزيارة خطوة جيدة، وأن لقاء وفد حماس مع وزير الخارجية الروسي سيرجي لافروف جاء ”مفيداً“. كما رحبت واشنطن بتذكير موسكو لحماس ”بوضوح“. مطالب اللجنة الرباعية. وصرّح المتحدث باسم الخارجية الأمريكية آدم إيريلي Adam Ereli ”بأن الزيارة مفيدة، لأنه من المهم أن تسمع حماس من أطراف مختلفة توقعات الأسرة الدولية، وهي نبذ الإرهاب والاعتراف بإسرائيل واحترام الالتزامات والتعهدات التي قطعتها السلطة الفلسطينية“⁹⁰.

وخلال مؤتمر صحفي مشترك مع نظيرته الأمريكية كوندوليزا رايس Condoleezza Rice أفاد لافروف بأنه سمع من قادة حماس ”استعدادهم للبحث في الانضمام إلى المبادرة العربية التي أُقرت بناءً على اقتراح من السعودية خلال قمة الجامعة العربية في بيروت“ سنة 2002، وهي تنص على عودة ”إسرائيل“ إلى حدود 1967 وقيام دولة فلسطينية عاصمتها القدس الشرقية. وأضاف لافروف ”أكدوا لنا أن المساعدات للفلسطينيين ستنفق بصورة شفافة على مشاريع اجتماعية ومشاريع بنى تحتية وغيرها، وقالوا حتى إنهم سيكونون على استعداد لاستقبال واعتماد نظام مراقبة دولية لضمان عدم اختلاس الأموال“⁹¹. كما أكد لافروف بعد لقاء الرئيس الأمريكي جورج بوش الابن George W. Bush في البيت الأبيض، أن اللجنة الرباعية ليست ”منقسمة“ حول حماس. وقال ”إن الرئيس بوش مرتاح لجهود جميع أعضاء اللجنة الرباعية“⁹². وبعد لقاءاته في واشنطن انتقل لافروف إلى دمشق، وفي ختام لقاءه مع نظيره السوري وليد المعلم قال لافروف ”إن روسيا وسورية تقومان بكل ما في وسعهما وستستمران في ذلك لدفع حماس إلى احترام الالتزامات التي حددتها الأسرة الدولية، ولدفع الحركة إلى الاعتراف بإسرائيل والتخلي عن الكفاح المسلح“⁹³.

ب. وسائل الإعلام الروسية:

لم تغب الصحافة الروسية عن الحدث المفاجأة المتمثل بفوز حماس في انتخابات المجلس التشريعي الفلسطيني، فقد كانت حاضرة بقوة خاصة وأن تداعيات فوز حماس، التي حملت الرئيس الروسي فلاديمير بوتين على دعوة قادة الحركة لزيارة موسكو في وقت قريب، أثارت جدلاً واسعاً حول الخطوة، انعكس على الصحافة ووسائل الإعلام. فبداية نقلت وسائل الإعلام الروسية الصورة من وجهة نظر إسرائيلية، فلم يخلُ مقال من وصفها بالمنظمة الإرهابية المتطرفة، وغاب تماماً أي نقل لوجهات النظر الفلسطينية، وبدا واضحاً تأثير اللوبي الصهيوني الذي نجح في رسم الصورة المنقّرة عن الحركة، ناهيك عن أن المرسلين أنفسهم الذين كانوا يغطون الحدث من داخل الأراضي المحتلة قد يكونون من اليهود الروس، وبالتالي يصعب عليهم أن ينقلوا الحدث بحيادية. كما عكست بعض التحليلات الإخبارية روحاً من التشفي بالسياسة الأمريكية التي دعمت الديمقراطية في الشرق الأوسط، فجاءت صناديق الاقتراع بما لم تشتهه أنفسهم.

ففي تاريخ 2006/1/27، ورد مقال في جريدة فيرميا نوفوستي الروسية بعنوان "حماس ستان: الإسلاميون يستولون على السلطة بهدوء في فلسطين"، وصف فوز حماس بأنه انفجار في الشرق الأوسط، خاصة وأن حماس مصنّفة على أنها منظمة إرهابية من قبل "إسرائيل"، الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي، وأكد كتاب المقال أن النتائج كانت مفاجئة، إذ كان من المتوقع أن تحصل فتح على أغلبية المقاعد في البرلمان في حين تشكل حماس أقلية برلمانية غير قادرة على إحداث تأثيرات كارثية على الوضع الفلسطيني، ولكن الذي حصل كان أسوأ من ذلك. وأضافوا أن مجرد التفكير بمستقبل الحكومة الفلسطينية وآفاق عملية التسوية بين الفلسطينيين والإسرائيليين، أمر مريع. فمع أن الحكومة لم تشكل بعد في فلسطين، يبدو أن المناطق الفلسطينية سوف تشهد إنشاء دولة حماس ستان⁹⁴.

وتحت عنوان ”الإسلام ينجح، وسوف ينجح: حماس منظمة ذات جناحين“، ذكرت الكاتبة الصحفية لجريدة فيرميا نوفوستي، إيلينا سوبونينا Elena Sopponina، أن حركة حماس تركز على تحرير الأراضي الفلسطينية ليس فقط تلك المحتلة سنة 1967، بل أيضاً أراضي الـ 48، وفي سبيل تحقيق ذلك الهدف فإن الحركة لا تتوانى عن استخدام كل ”الأساليب الوحشية والخبيثة“. وتشير إلى أن غالبية الاعتداءات الإرهابية على المدنيين الإسرائيليين نفذتها حماس⁹⁵.

بينما رأت الكاتبة ماريا جرينيشا Maria Greeniha في مقالها ”فلسطين في حالة فوضى: ثورة إسلامية استلمت الحكم بهدوء“، بأن نتائج الانتخابات قادت الحكم الذاتي الفلسطيني إلى الفوضى⁹⁶.

وبعد الدعوة الرسمية التي وجهها بوتين لحركة حماس لزيارة موسكو، قال الكاتب فاسيلي سيرجييف Vasily Sergeyev من جريدة غازيتا Gazeta، إن دعوة بوتين أقلقّت الولايات المتحدة، وصدّمت ”إسرائيل“، فبالنسبة للأمريكيين كانت أمراً غير مفهوم، وبالنسبة للإسرائيليين كانت فضيحة، وهدم الإرهابيون رحبوا بالدعوة ووصفوها بأنها خطوة ”شجاعة“. ثم يعرض الكاتب لردّات فعل قادة حماس الذين يصفهم بالمتطرفين والراديكاليين والإرهابيين منذ بداية المقال، فيقول إن دعوة بوتين لقيت القبول الحسن لدى قادة الحركة؛ ثم يعقب سيرجييف قائلاً بأنه على الرغم من أن الحكومة الروسية لم تحدد بعد زمن الزيارة، فإن حماس عدّت أن الدعوة تضيء الشرعية عليها، وبدأت بشكل مفاجئ تلعب دور صانع السلام⁹⁷.

وتحت عنوان ”غير المرحب بهم قادمون إلى موسكو“، يُقيّم المقال ردّة الفعل الإسرائيلية تجاه دعوة حماس لزيارة موسكو، ويحاول أن يثبت أن هذا اللقاء المرتقب سوف يضر بالعلاقات الإسرائيلية الروسية. يبدأ المقال بوصف حماس على أنها حركة إرهابية متطرفة، إذ يستهله كاتبه بالقول ”إن وفداً من حماس سوف يزور موسكو، ومن المفترض أن يكون برئاسة خالد مشعل وهو إرهابي ذو خبير واسعة، فحتى اليوم،

هذا الشخص ليس له الحق أو حتى ليس هناك أي احتمال بأن يدخل فلسطين... وقد أكد الخبراء الإسرائيليون بأنه ما إن يطأ خالد مشعل أرض روسيا، فإن العلاقات الروسية الإسرائيلية سوف تندهور⁹⁸.

2. بعد تشكيل الحكومة العاشرة:

على الرغم من أن خيار حماس الأول كان تشكيل حكومة وحدة وطنية، تضم فتح والقوائم والتنظيمات الفلسطينية الأخرى، إلا أن التصريحات الأمريكية الرسمية، المعربة عن رفض واشنطن حكومة تقودها حماس، أوحى بأن الحكومة لن تعيش طويلاً، وهو ما أدى في النهاية إلى أن تنفرد حماس بتشكيل الحكومة برئاسة إسماعيل هنية في 2006/3/28⁹⁹.

وإثر الإعلان عن تشكيل الحكومة دعا الرئيس الروسي فلاديمير بوتين، إلى استئناف المحادثات بين "إسرائيل" والفلسطينيين على أساس "الواقع الجديد" عقب تولي حركة حماس رئاسة الحكومة¹⁰⁰. فيما أعلنت وزارة الخارجية الروسية أن موسكو خصّصت مبلغ عشرة ملايين دولار لدعم السلطة الوطنية الفلسطينية التي تقودها حركة حماس. وقال سيرجي لافروف وزير الخارجية، إن بلاده على يقين من أن التخلي عن دعم الفلسطينيين لا لشيء إلا لأنهم اختاروا حكومتهم التي تشكلت كلها من أعضاء حماس استناداً إلى أسس ديمقراطية، يُعدّ أمراً خاطئاً. وأشار الوزير الروسي إلى أن موسكو ترى وجوب اعتراف حماس بـ"إسرائيل" والعودة إلى مائدة المفاوضات، إلا أن ذلك يمكن أن يحدث في حال "العمل مع حماس وليس عن طريق مقاطعة" هذه الحركة¹⁰¹. وقال الوزير الروسي "إننا بإفهام حماس الموقف المنسق للمجتمع الدولي، أطلقنا عملية اجتذاب هذه الحركة للسياسة العلنية، وهي عملية يشترك فيها بنشاط العالم العربي بأكمله"¹⁰².

مع بداية الحوار الوطني بين فتح وحماس، طالبت وزارة الخارجية الروسية المشاركين في الحوار إلى ضبط النفس، وعدم الانجرار وراء استفزازات يمكن أن تنسف

الجهود القائمة، معتبرة أن صياغة برنامج عمل موحد حيال مسائل استئناف التسوية في الشرق الأوسط مطلب حيوي للفلسطينيين خصوصاً في المرحلة الحالية¹⁰³.

وفي 25/6/2006 قامت كاتائب الشهيد عز الدين القسام الجناح العسكري لحركة حماس باختطاف الجندي جلعاد شاليط. بما عُرف بعملية "الوهم المتبدد"، والتي أدت لتوتر في كل من قطاع غزة والضفة الغربية. وكان لهذه العملية أثرها على العلاقات بين حماس وروسيا، فقد أعلن الناطق باسم الخارجية الروسية ميخائيل كامينين Mikhail Kamynin أن أسري الجندي الإسرائيلي "يسيون إلى مصلحة الفلسطينيين السياسية عبر إبقائه قيد الاعتقال"، مضيفاً "لقد بذلنا جهوداً مهمة للمساهمة في تحرير الرهينة بناء على طلب إسرائيل وستتابع هذا العمل"¹⁰⁴. وبعد لقائه بإيهود أولمرت Ehud Olmert في روسيا، قال سيرجي لافروف وزير الخارجية الروسي إن رئيس المكتب السياسي لحركة حماس "خالد مشعل هو عامل سلمي يمنع حماس من الاعتدال" وأوضح لافروف إن "حقيقة أن روسيا تتلقى مع قيادات حماس لا يعني أنها تدعمها"¹⁰⁵.

ومع ظهور إمكانية للتوصل لاتفاق مصالحة بين فتح وحماس، عاد الموقف الروسي ليلين تجاه حماس، فقد قال وزير الخارجية الروسي سيرجي لافروف إن حركة حماس "وكما نعرف من تعاملنا معها ومع ممثليها على استعداد للتحرك في اتجاه الأرضية المشتركة. وإن مطالبتها بتغيير مواقفها بنسبة مئة في المئة، مسألة غير واقعية"¹⁰⁶. وفي حوار أجرته معه جريدة الشرق الأوسط قال "يجب علينا النظر إلى المتاح، والدبلوماسية والسياسة هي فن الممكن"، ودعا لافروف "إلى أن تكون حماس بوصفها القوة التي حصلت على تفويض الناخبين الفلسطينيين جزءاً من حل المشكلة لأن تكون هي المشكلة نفسها"¹⁰⁷، مرحباً بالاتفاق الذي تمّ التوصل إليه بين حركتي فتح وحماس بوقف أعمال العنف معرباً عن أمله بأن يوجد هذا الاتفاق التربة المواتية لتسوية مسألة الحكومة¹⁰⁸.

إلا أن التوتر بين الحركتين فتح وحماس ما لبث أن تجدد مع بدايات سنة 2007، وهو ما أزعج القيادة الروسية، وأعلن الناطق باسم وزارة الخارجية الروسية ميخائيل كامينين في تصريح أدلى به لوكالة نوفوستي الروسية أن "هذا الانعطاف المساوي في الأحداث يفرغ الاتفاقات، التي تمّ التوصل إليها بصعوبة بين الحركتين السياسيتين الأساسيتين في منطقة السلطة الوطنية الفلسطينية "فتح" و"حماس" حول الهدنة، من مضمونها"، وأشار: "إننا ندعو كافة القوى ذات التفكير السديد في الأراضي الفلسطينية إلى وضع حد لفتنة اقتتال الأخوة، التي لا منتصر فيها ولا يمكن أن يكون"¹⁰⁹.

3. بعد تشكيل الحكومة الحادية عشرة:

في 2007/2/8 وقّعت حركتنا فتح وحماس "اتفاق مكة" الذي أنهى الخلاف بينهما، ووضع أسساً لتشكيل حكومة الوحدة الوطنية، التي أدت اليمين الدستورية في 2007/3/17. وعلى إثر هذا الاتفاق ووجهت الحكومة الروسية دعوة لقيادة حماس لزيارة موسكو. وقال مصدر مسؤول في وزارة الخارجية الروسية لمراسل جريدة الشرق القطرية "إن رئيس المكتب السياسي لحركة حماس خالد مشعل سيصل إلى موسكو في 2007/2/26 على رأس وفد لقيادة الحركة". وأضاف "إن المفاوضات في وزارة الخارجية الروسية تهدف إلى مواصلة ما يبذله الجانب الروسي من جهود، سعياً إلى تحقيق الاستقرار داخل الأراضي الفلسطينية، وتذليل الخلافات الناشئة بين الفلسطينيين، في ضوء الاتفاقات المبرمة بين فتح وحماس في مكة المكرمة، دعماً لتشكيل حكومة الوحدة الوطنية، مع مراعاة المعايير المعروفة التي وضعتها المجموعة الرباعية للوسطاء الدوليين الخاصة بالتسوية في الشرق الأوسط، وكذلك استئناف الحوار السياسي الفلسطيني - الإسرائيلي"¹¹⁰.

وبعد اللقاء الذي جمع وزير الخارجية الروسي سيرجي لافروف مع رئيس المكتب السياسي لحركة حماس خالد مشعل، قال لافروف إن حركة حماس حققت "تقدماً كافياً" في اتجاه تلبية المطالب الدولية منها، بما يسمح بتخفيف العقوبات الاقتصادية

والدبلوماسية عنها. وأضاف "عمَلْنَا مع حماس سيستمر، التقدم واضح، وهذا التقدم كافٍ لبدء التحرك في اتجاه تخفيف العقوبات". وأكد لافروف لرئيس المكتب السياسي في حركة حماس خالد مشعل بأن موسكو ستسعى لدى القوى الغربية لرفع حظر المساعدات الاقتصادية للحكومة الفلسطينية، لكنها حثت حماس على الاعتراف بـ"إسرائيل"¹¹¹. من جانبه قال مشعل "إن الشعب الفلسطيني يتطلع إلى خطوات سريعة من المجتمع الدولي لرفع الحصار عن الشعب الفلسطيني وحكومة الوحدة الوطنية المقبلة". وأضاف "إن التعامل مع حكومة الوحدة الوطنية من دون تمييز، سيؤرّجواً سياسياً وبيئة تساعد على فتح أفق سياسي للصراع العربي الإسرائيلي". ودعا مشعل "الاتحاد الأوروبي والأمم المتحدة إلى التعاون مع روسيا من أجل تغيير موقف اللجنة الرباعية حول الشرق الأوسط"، وإلغاء المقاطعة الغربية للحكومة الفلسطينية¹¹².

والملفت للنظر أن الدول الغربية لم توجه نقدها لموسكو خلال الزيارة الثانية لمشعل لاستضافتها لوفد حماس. ولا يُستبعد أن يكون الوسطاء الدوليون قد وافقوا، خلال اجتماع اللجنة الرباعية قبل زيارة مشعل، على أن تجري موسكو محادثات رسمية مع حماس. وبعد الزيارة كتبت جريدة كومرسانت Kommersant "رغم الجهود المبذولة من الجانب الروسي، لم يقدم مشعل ولو تنازلاً واحداً لإسرائيل وللجنة الرباعية". وقد رأى زعيم الحزب الليبرالي الديموقراطي الروسي فلاديمير جيرينوفسكي Vladimir Zhirinovsky أن سرّ الغضب الإسرائيلي على زيارة مشعل لموسكو هو "أن واشنطن طلبت سرّاً من موسكو التوسط والتحايد بالنيابة عنها إلى حماس، ولم يُحط الجانبان الروسي والأمريكي إسرائيل علماً بذلك"¹¹³.

وبعد توقيع اتفاق مكة وتشكيل حكومة الوحدة الوطنية، تصاعدت حدة الاعتقالات الإسرائيلية لنواب ووزراء حماس في الضفة الغربية. أشار الناطق الرسمي باسم وزارة الخارجية الروسية ميخائيل كامينين قائلاً إن "موسكو تلقت بقلق الأنباء التي تتحدث عن اعتقال عدد من ممثلي السلطين التشريعية والتنفيذية في فلسطين" وأضاف كامينين "ليس من المنطقي مطالبة القيادة الفلسطينية بمجابهة الحملات

المضادة لإسرائيل، ومنع عمليات إطلاق الصواريخ، في الوقت الذي يجري فيه تقويض أجهزة السلطة الوطنية الفلسطينية¹¹⁴.

ومع تسارع الأحداث بعد تشكيل حكومة الوحدة الوطنية، حيث قامت الأجهزة الأمنية في السلطة والتابعة لحركة فتح بنشر حالة من الفلتان الأمني في الأراضي الفلسطينية بهدف إجهاد اتفاق مكة، أعلن المتحدث باسم الخارجية الروسية ميخائيل كامنين أن موسكو تدعو الأطراف الفلسطينية إلى "وقف إطلاق نار فوري" محذرة من "مواجهة قد تؤدي إلى فوضى تامة". وقال البيان إن "تصعيد المواجهات الفلسطينية - الفلسطينية يهدد بالتسبب بفوضى عامة، وبوقوع ضحايا جدد، وبتوسيع الصراع في المنطقة"¹¹⁵.

4. بعد سيطرة حركة حماس على قطاع غزة:

خاضت حركة حماس في الفترة 2007/6/14-11 عملية أمنية غير متوقعة؛ إذ قامت القوة التنفيذية وبمساعدة كتائب القسام، الجناح العسكري لحركة حماس، بتوجيه ضربة قاسية لمن تسميه بـ"التيار العميل في الأجهزة الأمنية وحركة فتح"، الذين تتهمهم حماس بالتسبب في الفلتان الأمني¹¹⁶. وعلى إثر هذه العملية تمكنت حركة حماس من السيطرة على قطاع غزة.

وعلى إثر ذلك، قال وزير الخارجية الروسي سيرجي لافروف إن "هناك من يود الحيلولة دون استعادة الوحدة الفلسطينية، وهناك من يحاول تأجيج حرب أهلية حقيقية في فلسطين، أملاً بتيسر "القضاء" على حماس بكاملها، لا على الراديكاليين وحدهم، وإنما على كل حماس كحركة"¹¹⁷، في إشارة إلى الولايات المتحدة وحلفائها في المنطقة. وقال نائب رئيس إدارة الشرق الأوسط في وزارة الخارجية الروسية أوليغ أوزيروف Oleg Ozerov، إن بلاده تعتزم مواصلة اتصالاتها مع حماس، وأضاف: إن "سياسة فرق تسد لن تساعد في حل المشكلة". وأشار أوزيروف إلى أن "أحد لن يستفيد من إطالة أمد الصراع بين حماس وفتح، بمن فيهم إسرائيل"، مشدداً على أنه يجب ألا تكون هناك "أرض لحماس وأرض لفتح"¹¹⁸.



عملت روسيا في بداية الأزمة على التواصل مع طرفيها (فتح وحماس)، حيث كشف لافروف أنه أجرى اتصالاً هاتفياً مع خالد مشعل رئيس المكتب السياسي لحماس الذي أكد العمل من أجل استعادة وحدة الصف الفلسطيني¹¹⁹، ومن جانب آخر قال لافروف: ”إننا نعلم بعزمه [أبو مازن] على إجراء الانتخابات المبكرة. وللأسف ليست هناك فرصة للدعوة إلى اجتماع المجلس التشريعي، واعتقد أنه يجب البحث عن السبل التي يمكن أن تحافظ على الشرعية الفلسطينية. وعلى هذه الأسس سوف يعمل محمود عباس كما أكد لي، من جانبها تبدو حماس مستعدة لذلك“¹²⁰.

إن عدم وضوح قدرة حماس على التعامل مع الواقع الجديد وقدرة صمودها أمام المجتمع الدولي بعد سيطرتها على قطاع غزة، دفعت روسيا للتماشي مع الواقع الدولي من خلال دعمها لعباس خلال زيارته لروسيا حيث قال سيرجي لافروف للرئيس عباس ”نحن ندعمكم بدون تحفظ باعتباركم القائد القانوني والشرعي لكل أبناء الشعب الفلسطيني. كما نساند جهودكم الرامية لفرض القانون، ولتأمين الوحدة بين الفلسطينيين ومواصلة عملية البحث عن حل للأزمة في الأراضي الفلسطينية“¹²¹. واستبعد أندريه دينيسوف Andrei Denisov، النائب الأول لوزير الخارجية الروسي، إمكانية أن يخطط الجانب الروسي لعقد لقاء مع حماس قريباً، لكنه قال إن موسكو لن تقطع علاقاتها مع الحركة¹²²، واستدرك قائلاً ”عمدنا أخيراً إلى تقليص علاقاتنا مع حماس بعض الشيء“¹²³.

وأشار رئيس الوزراء المقال إسماعيل هنية بأنه يرحب بأي تحرك لإنهاء الأزمة الفلسطينية الداخلية، وأضاف ”هناك دول عربية وإسلامية ودول خارج الإقليم تجري اتصالات معنا حول بعض التصورات لمعالجة الأزمة بما في ذلك روسيا“¹²⁴.

فروسيا قدمت مبادرة لحل الخلاف بين الحركتين تستند إلى مبدئين أساسيين: العودة للأوضاع التي سبقت سيطرة حركة حماس على قطاع غزة، وضمن ذلك استعادة تشكيل حكومة وحدة وطنية، وإعادة صياغة الأجهزة الأمنية الفلسطينية على أسس مهنية¹²⁵.

في بيان لها أكدت حركة حماس "أنها ترى في الاتحاد الروسي لاعباً دولياً قوياً في المنطقة منوّهة إلى أنه سبق أن رحّبت بالاتصالات الجارية بين الحركة وبين المسؤولين الروس، وكررت ترحيبها بالعرض الروسي للوساطة بينها وبين حركة فتح"، وأضافت الحركة "ساءنا محاولة البعض تحريف الموقف الروسي، وتصويره بالموقف المعادي للحركة والمصطف إلى جانب فريق فلسطيني ضدّ آخر، وهو مسألة عارية عن الصحة أكدها موقف وزير الخارجية الروسي سيرجي لافروف في مكالمة مع الأخ خالد مشعل قبل أيام"¹²⁶. من جانبه قال لافروف "إن من الأهمية بمكان إجراء اتصالات كهذه مع حماس والبلدان التي لا تفعل ذلك إنما ترتكب خطأ جسيماً"¹²⁷.

إلا أن محاولات موسكو في إنجاح المصالحة الفلسطينية لم تؤتِ أكلها بسبب الفيتو الأمريكي، ومع اقتراب نهاية ولايته دعا الرئيس الروسي فلاديمير بوتين إلى إشراك حركة حماس في التسوية، وقال "تؤيد روسيا ما يقوم به الرئيس الأمريكي جورج بوش في الفترة الأخيرة"، لكنه لفت النظر إلى أنه لا يود القول إن روسيا موافقة على كل شيء. ودعا بوتين إلى "سماع صوت حماس أثناء تسوية أزمة الشرق الأوسط ومعرفة بماذا تسترشد هذه الحركة". وشدد على "ضرورة إيجاد أسس للتعاون والعمل المشترك". وأشار في الوقت نفسه إلى "ضرورة توفير الظروف الآمنة لوجود إسرائيل"¹²⁸.

وفي آذار/ مارس 2008، ظهرت بوادر تحسّن في علاقات روسيا بحماس، إذ اجتمع وزير الخارجية الروسي سيرجي لافروف مع رئيس المكتب السياسي لحركة المقاومة الإسلامية حماس في دمشق يوم الأربعاء 2008/3/19، مما أثار غضب رئيس السلطة الفلسطينية محمود عباس الذي قال لجريدة فريميا نوفوستي Vremya Novosti الروسية إنه "لا يرحب بفكرة المحادثات بين سيرجي لافروف ومشعل في دمشق". وفي رده على عباس قال لافروف "تربطنا حالياً علاقات مع حركة حماس، واستقبلنا هنا [في روسيا] رئيس مكتبها السياسي خالد مشعل مراراً. وهذه الاتصالات ستستمر وهدفها واحد ويمكن في المساعدة على إعادة الوحدة الفلسطينية"¹²⁹. من جهة أخرى، أكد الوزير الروسي أن بلاده ستحدد قريباً موعد عقد مؤتمر دولي حول الشرق

الأوسط تستضيفه موسكو، مضيفاً إن جولته تضمنت "مشاورات نشطة مع أعضاء الرابعية والبلدان العربية والأمم المتحدة وأطراف أخرى، ونحن نعتبر من المهم ما تم الاتفاق عليه سلفاً"¹³⁰.

ومع بداية الحوار بين حركتي فتح وحماس حول المصالحة في صنعاء، أصدرت الخارجية الروسية بياناً جاء فيه "نحن نقف مع استئناف الحوار الفلسطيني الداخلي الشامل، واتخاذ خطوات محددة من قبل فتح وحماس بهدف حلّ القضايا العالقة". وتعدّ روسيا مثل هذا التطور للأحداث شرطاً ضرورياً لدفع عملية المحادثات بين الفلسطينيين والإسرائيليين.¹³¹

وبعد اندلاع الحرب الجورجية، التي تبين بأن للولايات المتحدة و"إسرائيل" دوراً فيها، ذكر مصدر روسي بأن موسكو تستعد لاستقبال مسؤول في حركة حماس "على مستوى رفيع" قريباً، في إطار "الاستخلاصات الروسية من أزمة القوقاز الأخيرة، وضرورة تعزيز تحالفات موسكو إقليمياً ودولياً"¹³²؛ إلا أن بداية العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة حال دون هذه الزيارة.

5. بعد العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة:

شنّ الجيش الإسرائيلي عدواناً واسعاً على قطاع غزة في 2008/12/27، والذي ألحق دماراً كبيراً بالمؤسسات والبنى التحتية الفلسطينية في القطاع.

كان لافتاً خلال العدوان تقاعس الدور الروسي عن أي تحرك جاد. وقد أشار إلى ذلك رئيس المكتب السياسي لحركة حماس، خالد مشعل، الذي طالب روسيا باتخاذ "موقف حازم وحاسم إزاء العدوان الصهيوني الغاشم الذي طال البشر والحجر والشجر"، إذ اكتفت القيادة الروسية بإبداء الأسف والقيام باتصالات خجولة، فقد عبّر نائب وزير الخارجية الروسي ألكسندر سلطانوف Alexander Sultanov عن "أسف روسيا لما يتعرّض له قطاع غزة، وعن تعازيه الحارّة لضحايا الحرب على القطاع"، مؤكداً "حرص روسيا على إيجاد مخرج لهذا الواقع المأساوي"¹³³.



وَعَزَا بعض المحللين غياب الدور الروسي النشط برغبة روسيا في عدم تصعيد التوتر مع واشنطن، ربما لأن الأمريكيين غَضُّوا النظر عن السيطرة الروسية على جنوب أوسيتيا. ولكن صمود المقاومين، وانطلاق الجهود الدبلوماسية في الأسبوع الثاني من الأزمة، دفعت روسيا إلى إرسال مبعوث خاص للمنطقة لتوكيد دور روسي في التحرك السياسي وما يمكن أن ينجم عنه¹³⁴.

وفي 2009/1/9 تبنى مجلس الأمن الدولي قراراً يدعو إلى وقف فوري لإطلاق النار في قطاع غزة، بعد مباحثات بين وزراء الخارجية العرب والدول الغربية استغرقت ثلاثة أيام. ووافقت 14 دولة عضواً في مجلس الأمن على القرار، بينما امتنعت الولايات المتحدة عن التصويت¹³⁵.

وبعد إنهاء الحرب قال وزير الخارجية الروسي سيرجي لافروف "إن بلاده ستواصل اتصالاتها مع حركة حماس، مشيراً إلى أن التطورات أثبتت صحة هذا الموقف"، وأضاف "روسيا مهتمة بضرورة تجاوز آثار أزمة قطاع غزة واستئناف العملية السلمية"، إن "روسيا ستقوم خلال الأيام والأسابيع المقبلة بالتشاور مع شركائها ومع الدول العربية، إضافة إلى الجانبين الفلسطيني والإسرائيلي، بتوفير الظروف الملائمة من أجل عقد مؤتمر موسكو بحيث يكون شاملاً، ما يتيح استئناف العملية السلمية"¹³⁶.

وقال وزير الخارجية الروسي إثر الانتقادات التي وجهت لروسيا لإصرارها على التواصل مع حركة حماس "إن مثلي العديد من الحكومات الغربية اعترفوا بأن عدم وجود اتصالات لهم مع حماس كان له أثر سلبي، وأكد أن بلاده ستستغل اتصالاتها بحماس لمساعدة الفلسطينيين على تجاوز انقسامهم وفي إقناعها بقبول برنامج التسوية"¹³⁷.

كما حاولت جريدة Maariv الإسرائيلية التشويش على هذا التطور في العلاقات قائلةً إن العلاقة بين روسيا وحركة حماس بردت في الأشهر الأخيرة، ناقلة عن مصدر سياسي روسي قوله إن رئيس المكتب السياسي للحركة، خالد مشعل، ليس

مرحباً به ضيفاً سياسياً في موسكو¹³⁸. وفي ردٍّ على هذه الأنباء أعلن مصدر في وزارة الخارجية الروسية أن ”هذا الخبر لا يتطابق مع الواقع إذ تجري روسيا من خلال سفارتها في سورية اتصالات منتظمة مع قيادة حماس“، وقال المتحدث إن ”روسيا تمارس في الشرق الأوسط في الوقت الحاضر سياسة نشطة جداً، وإننا لا ننوي التخلي عن المنطقة وإنما نصعد نفوذنا فيها“¹³⁹.

6. تجدد المفاوضات الإسرائيلية - الفلسطينية:

تدرك روسيا جيداً أن مساحة التحرك لدبلوماسيتها في عملية السلام الشرق أوسطية مهونة بما تسمح به الولايات المتحدة. وفي ظلّ فشل المساعي الروسية للعام الثالث على التوالي في تسويق فكرة عقد مؤتمر موسكو للسلام في الشرق الأوسط، بسبب الرفض الإسرائيلي والتمنّع الأمريكي، لا مفر إذن من استخدام ورقة حماس بحدّ أقصى، إذ تفرد موسكو بكونها عضو الرباعية الدولية الوحيد الذي يمتلك علاقات مع حماس على الأقل بصورة علنية، ومن ثم يحاول الكرملين اللعب بتلك الورقة، بشكل متوازٍ مع تنمية علاقاته بـ”إسرائيل“ التي يعيش فيها أكثر من مليون يهودي من ذوي أصولٍ روسية.

فقد أعلن وزير الخارجية الروسي سيرجي لافروف في مؤتمر صحفي خلال شهر أيار/ مايو 2009 عقب اجتماع مجلس الأمن الدولي بدعوة من روسيا وبحضور وزراء خارجية بريطانيا وفرنسا وتركيا والنمسا لبحث الوضع في الشرق الأوسط ”سنوات الاتصالنا بحركة حماس وسنحثها على القيام بخطوات من شأنها الوصول لسلام في فلسطين“¹⁴⁰. كما ”أن حالة الانقسام الفلسطيني تُعدّ العقبة الأساسية التي تقف في سبيل استئناف عملية السلام“¹⁴¹.

وعلى إثر ذلك، وفي إطار مساعي روسيا لعقد مؤتمر للسلام في موسكو، قام لافروف بقاء رئيس المكتب السياسي لحركة حماس في دمشق، حيث أكد مشعل بعد اللقاء ”على إيجابية التعاطي الروسي مع حركة حماس، ورحب بالتواصل مع

روسيا في إطار تحقيق مصالح الشعب الفلسطيني،" موضحاً "أن الحوار الفلسطيني يواجه عقبتين رئيسيتين هما فرض الاشتراطات الأجنبية على الحوار، وتعامل البعض مع الحوار بشكل مجتزئ يتناول الأوضاع في غزة وحدها، مع استمرار الاستفراد بالضفة الغربية، وهذا منطوق ترفضه حركة حماس"¹⁴².

وخلال زيارة لافروف إلى مصر ضمن المحاولات لاستئناف عملية السلام، قال لافروف إن روسيا تدعم مصر في مسعاها إلى مساعدة الفلسطينيين في رصّ صفوفهم، إذ لا يمكن إلا لوحدة الصف الفلسطيني أن تضمن الظروف المناسبة للمفاوضات التي "نأمل في أن يتمكن محمود عباس من استئنافها مع الإسرائيليين"¹⁴³.

وفي شهر شباط/ فبراير 2010 قامت روسيا بدعوة محمود عباس لزيارة موسكو للباحث في ملف المصالحة واستئناف المفاوضات، وبعد اللقاء بأيام وجهت وزارة الخارجية الروسية دعوة لحركة حماس لزيارة موسكو. وقال الناطق باسم وزارة الخارجية الروسية أندريه نيسترينكو Andrei Nesterenko إن "الموضوع الرئيسي الذي سيناقش هو طريقة إنهاء الانقسامات الفلسطينية وسبل استئناف المفاوضات مع إسرائيل"¹⁴⁴.

لكن على الرغم من التحرك الروسي الحثيث في بابيّ المصالحة واستئناف المفاوضات، إلا أن هذه الجهود لم تحظ برضى الولايات المتحدة. فبعد الاجتماع الذي استضافته روسيا للجنة الرباعية في شهر نيسان/ أبريل 2010، اختتم الاجتماع أعماله من دون ترك تأثير واضح على الديناميكيات الراهنة للصراع، فالولايات المتحدة كانت مهتمة بمبادرة الوساطة التي أطلقتها لإجراء محادثات غير مباشرة بين الإسرائيليين والفلسطينيين، والتي تهدف من ورائها ضمان نجاح حزب الرئيس الأمريكي باراك أوباما في انتخابات الكونغرس النصفية، التي كانت ستعقد في شهر تشرين الثاني/ نوفمبر 2010.

إن روسيا، بالرغم من ذلك، لم تُوقف جهودها، فخلال زيارة للرئيس الروسي ديمتري ميدفيدف لسورية في شهر أيار/ مايو 2010، فاجأ الجميع بلقائه رئيس المكتب

السياسي لحركة حماس خالد مشعل. وبعد اللقاء وجه الرئيس الروسي ديمتري ميدفيديف انتقادات إلى واشنطن معتبراً أنها "لا تفعل ما يكفي لدفع الأمور إلى الأمام وتحريك عملية السلام" ومشهداً على أن موسكو "لن تقف مكتوفة الأيدي أمام الأوضاع التي تزداد توتراً وتندّر بانفجار جديد أو كارثة"¹⁴⁵.

وبعد أيام من اللقاء قال مسؤول روسي بأن الرئيس ميدفيديف عرض خلال لقائه مع مشعل رزمة روسية كاملة لحل الصراع الفلسطيني - الإسرائيلي، وتشمل هذه الرزمة الإفراج عن الجندي الأسير جلعاد شاليط وإتمام صفقة التبادل، وفتح المعابر، وإشراك حركة حماس في عملية السلام سواء بالمشاركة مع السلطة في رام الله، أو بشكل منفصل، من أجل التوصل إلى تفاهات أمنية ملزمة بين "إسرائيل" وحماس، وأن تتعهد الحركة بـ"منع القيام بعمليات عسكرية وإطلاق القذائف من القطاع باتجاه "إسرائيل". وأضاف "إن دولاً أوروبية طرحت في السابق اقتراحات مماثلة، وأن هناك مسؤولين أمريكيين في إدارة باراك أوباما يتحدثون عن هذا الاقتراح في الغرف المغلقة"¹⁴⁶.

قال مصدر في المكتب السياسي لحركة حماس، تعليقاً على هذه الزيارة، إن موافقة الحركة تنطلق مما جاء في وثيقة الأسرى (وثيقة الوفاق الوطني)، التي تنص على قبول حماس دولة فلسطينية على حدود الرابع من حزيران/يونيو 1967 وعاصمتها القدس مع الاحتفاظ بحق العودة وإزالة جميع المستوطنات في الضفة الغربية مقابل هدنة مع إسرائيل. وأشار المصدر إلى أن جوهر المقترحات الروسية التي يتحدث عنها الإعلام، تقوم على هذه الفكرة، وتستفيد من المقترحات العربية في هذا الشأن، وفي مقدمتها المبادرة العربية للسلام¹⁴⁷.

وكان الرئيس ميدفيديف بعد لقاء مشعل قد توجه إلى تركيا، حيث اجتمع بالرئيس التركي عبد الله جول Abdullah Gul وصرح عقب اللقاء "اتفقنا على احتمال حلّ المشكلة بشكل أكثر نشاطاً بإشراك كل أطراف الصراع دون استبعاد أحد من العملية"¹⁴⁸.



رحبت حركة حماس من جانبها بدعوة روسيا وتركيا لإشراكها في مفاوضات السلام في الشرق الأوسط، وعدّ القيادي في حماس صلاح البردويل أن هذه الدعوة "تقدير حقيقي لحجم الحركة السياسي الذي تستحقّه، حماس تمثل الشعب الفلسطيني تمثيلاً صادقاً"، وأضاف إن "صمود حماس في مواجهة كل الضغوط والاعتداءات الإسرائيلية، يعطيها هذه الشهادة"، وتوقع أن "تزداد دائرة الاعتراف بشرعية حماس، لتحذو دول أخرى حذو روسيا"¹⁴⁹.

وفي تصريح لوزير الخارجية الإسرائيلي أفيجدور ليرمان، أعلن أن تل أبيب لن تقبل بأي إملاءات تتعلق بإشراك حركة حماس في العملية السياسية، كما انتقد ليرمان موقف روسيا ومصر وتركيا إزاء ما وصفه بالإرهاب، وقال "إن روسيا وأيضاً مصر وتركيا وكذلك دولٌ أخرى تنتهج نوعاً من السياسة يميّز بين الإرهاب الجيد والسيئ، بين الإرهاب الذي يستهدف إسرائيل وذلك الذي يضرب في مكان آخر"¹⁵⁰.

قال أسامة حمدان عضو المكتب السياسي لحركة حماس إن الامتعاض والتذمر الإسرائيلي من لقاء رئيس المكتب السياسي للحركة، خالد مشعل، مع الرئيس الروسي يعبر عن "القلق بعد الأزمة التي مرّت بها إسرائيل مؤخراً مع الولايات المتحدة، إضافة إلى أن هناك انزعاجاً أوروبياً من سلوك إسرائيل"، وأضاف "لا أحد يأمل بأن تحقق التسوية والمفاوضات غير المباشرة، التي بدأت مؤخراً، أي شيء يذكر لأن الحل الحقيقي يتمثل بإعطاء الفلسطينيين حقوقهم المشروعة"¹⁵¹.

وفي ردّ على التصريحات الإسرائيلية أعلن الناطق الرسمي باسم وزارة الخارجية الروسية أندريه نيسثيرينكو أن "الاتصالات بيننا وبين هذه الحركة تجري بشكل منتظم. كما من المعروف أن بقية الأطراف الأعضاء في رباعي الوسطاء الدوليين للتسوية في الشرق الأوسط تجري اتصالات مع حماس بشكل أو بآخر، غير أنها لأسباب غير مفهومة تخجل من الاعتراف بذلك علناً"¹⁵².

وخلال زيارة لوزير الخارجية الروسي إلى مصر في تموز/ يوليو 2010، قال لافروف: "أعتقد أن بعض الأطراف ساهمت في الوضع الحالي بالنسبة لحماس، بعد أن رفضت الاعتراف بالانتخابات البرلمانية واتفاق مكة"، مؤكداً أن الاتصالات مع حماس تهدف إلى شيء أساسي، وهو تجاوز الاحتقان الفلسطيني والتوصل لمصالحة فلسطينية؛ تنفيذاً للمبادرة العربية للسلام¹⁵³.

وبعد أن وصلت المفاوضات المباشرة التي انطلقت بين الجانبين الفلسطيني والإسرائيلي بتاريخ 2010/9/2 إلى طريق مسدود، بعد أسابيع من انطلاقها، بسبب التعتت الإسرائيلي ورفضه تجميد الاستيطان، خاصةً بعد تخلي الولايات المتحدة الأمريكية عن الضغط على "إسرائيل" لدفعها كي تجمد الاستيطان، حيث صرح دبلوماسي أمريكي رفيع "إن واشنطن لن تسعى بعد الآن لتجميد الاستيطان الإسرائيلي كي تستأنف محادثات الشرق الأوسط المتوقفة، وإنها ستنتهي كل الاتصالات الرامية للوصول إلى وقف آخر للاستيطان"¹⁵⁴. وفي ظل هذا الوضع المتأزم وخاصةً بعد ازدياد الاعتداءات الإسرائيلية على قطاع غزة، قام ألكسندر سلطانوف في 2010/12/13 بزيارة للمنطقة التقى خلالها خالد مشعل، وقد جاء في بيان الخارجية الروسية حول اللقاء "إن روسيا تدعو طرفي النزاع الفلسطيني والإسرائيلي إلى ضبط النفس والإحجام عن خطوات تزيد التوتر بين الطرفين"، وتمّ خلال اللقاء تبادل للآراء حول عملية السلام على خلفية رفض "إسرائيل" تجميد النشاط الاستيطاني، وبالنسبة للعلاقات الفلسطينية - الفلسطينية أكد سلطانوف على "ضرورة مواصلة الجهود المبذولة لاستعادة الوحدة الفلسطينية لتحقيق ما يطمح إليه الفلسطينيون"¹⁵⁵. وقال عضو المكتب السياسي لحركة حماس عزت الرشق: "إن لقاء مشعل مع سلطانوف تناول عملية التسوية المتعثرة، والأوضاع الصعبة التي يواجهها قطاع غزة جراء تواصل الحصار الظالم ومجمل الأوضاع في المنطقة"¹⁵⁶.

الخلاصة

تحاول روسيا استعادة مكانتها على المستوى الدولي كقوة عظمى يوماً بعد يوم، وهي تعلم أنها بحاجة لشروط كبير من العمل لتحقيق هذه الغاية، في الوقت الذي تقوم الولايات المتحدة ومعها دول الاتحاد الأوروبي بمحاولات لتقويض ذلك التوجه.

فُسِّمَ الأولويات الروسية بيزخر بالملفات الهامة، حيث تخوض روسيا مفاوضات حامية مع حلف الناتو NATO، وصلت إلى حدّ المواجهة المسلحة غير المباشرة من خلال الحرب مع جورجيا لوقف تمدد الحلف في دول القوقاز والمحيط الحيوي لروسيا؛ وتأتي العلاقات الروسية - الصينية في المرتبة الثانية، إذ تسعى روسيا لتقوية علاقتها مع الصين لوقف المدّ الأمريكي في جنوب آسيا، فيما نجد أن ملف الشرق الأوسط يأتي في المرتبة الثالثة على أقل تقدير في سُلّم الأولويات الروسية. هذا لا يعني أن روسيا لا تعيره اهتماماً؛ فالشرق الأوسط يمثل سوقاً مهمّة للأسلحة والمعدات العسكرية الروسية، وسوقاً مهماً للتعاون في مجال الطاقة، وخاصة في مجال عمليات البحث والتنقيب وتطوير الإنتاج، ومجالاً لجذب رؤوس الأموال، وخاصة الخليجية منها، للاستثمار في روسيا، كما يعدّ مجالاً واعداً للتعاون في المجال التقني فيما يخص تطوير البنية التحتية الصناعية، التعاون في مجال الطاقة النووية السلمية، وإطلاق الأقمار الصناعية. إضافة لاحتوائه ملف الصراع الفلسطيني - الإسرائيلي، الذي يعدّ مدخلاً مهمّاً لروسيا للبروز على الساحة الدولية. ومن هنا تأتي أهمية بناء العلاقة الروسية - الحمساوية.

بدأت علاقة روسيا بحركة حماس مع بداية سنة 2006، وقبل الانتخابات التشريعية الفلسطينية من خلال زيارة غير معلنة قام بها وفد من الحركة إلى موسكو، ثم تبعتها زيارة لوفد من الحركة بعد الانتخابات، ومنذ ذلك الوقت والعلاقة تتطور بشكل منتظم.

تُعدّ أول وأهم محطة في هذه العلاقة هي زيارة وفد الحركة لموسكو في آذار/ مارس 2006 بعد فوزها بالانتخابات، والتي تميّز فيها موقف روسيا عن الغرب في التعامل مع الحركة واحترام نتائج الانتخابات. أما ثاني أهم محطة في هذه العلاقة فتظهر من خلال دعم موسكو لحكومة الوحدة الوطنية التي تشكّلت بعد اتفاق مكة في شباط/ فبراير 2010، فموسكو على الرغم من أنها عضو في الرباعية الدولية، إلا أنها تميزت بعدم استخدامها لشروط الرباعية كميّار للتعامل مع حكومة الوحدة الوطنية. أما المحطة الثالثة فتتمثّل باللقاء الذي جمع رئيس المكتب السياسي لحركة حماس، خالد مشعل، بالرئيس الروسي ديمتري ميدفيديف في أيار/ مايو 2010 في دمشق، والتي أرسل الرئيس الروسي من خلاله رسالة للعالم بأن علاقة موسكو بحركة حماس تتطور، وأن موسكو ترى في حركة حماس قوّة لا يمكن تجاوزها في أيّ مفاوضات قادمة لإنهاء الصراع، حيث صمدت الحركة خلال أربع سنوات من الحصار الذي لا يزال مستمراً، والتي خرجت بانتصار نسبيّ من حرب أكدت صحة التوجه الروسي في بناء علاقة معها.

وعلى الرغم من المعارضة الأمريكية، فإن روسيا لا تزال تسعى لعقد مؤتمر للسلام في موسكو تجمع فيه كل الأطراف بما فيهم سورية. فروسيا أصبحت على يقين بأن الولايات المتحدة لن تستطيع حلّ الصراع الفلسطيني - الإسرائيلي لوحدها بسبب التعنّت الإسرائيلي؛ الذي لا يرى سبباً للتنازل عن مكتسباته التي حققها طالما أن المفاوض الفلسطيني الذي أمامه لا يملك أيّاً من أوراق القوة، ترى روسيا في دورها القوة التي ستعيد للصراع توازنه، والذي من شأنه أن يعزّز من مكانة روسيا على المستوى الدولي.

كما أنّ روسيا من خلال علاقة مميزة مع حركة حماس، بما تعبّر عنه الحركة من بُعد فلسطيني وإسلامي، يُحسّن من صورة روسيا عربياً وإسلامياً بعدما تشوّهت بفعل حربها في الشيشان، ويساعد في تدعيم استقرار روسيا الداخلي التي يعيش فيها أكثر من 20 مليون مسلم¹⁵⁷.



إن روسيا التي تعتمد البراجماتية في بناء علاقاتها، تحاول أن تبقى على علاقة مع جميع الأفرقاء في المنطقة، بمن فيهم "إسرائيل" التي تربطها بروسيا علاقات تجارية مميزة إضافة لعلاقة نامية في مجال التكنولوجيا العسكرية.

من جانبها ترى حركة حماس تطوّر علاقتها بروسيا كسراً لجدار العزلة الدولية والدبلوماسية التي حاولت الولايات المتحدة فرضه على الحركة بمساعدة ما يسمى بـ"دول الاعتدال العربي"، إضافة لنفي صفة الإرهاب عنها.

وتأمل الحركة من تطوّر علاقتها بروسيا، أن يشجّع ذلك دول الاتحاد الأوروبي في الخروج عن النص الأمريكي، لكسر حاجز الخجل في بناء علاقات معها، بدأت تزداد سراً بعد الانتصار النسبي للحركة على "إسرائيل" في عدوانها على قطاع غزة نهاية سنة 2008. فحركة حماس تعلم بأن الطريق لا يزال شاقاً وطويلاً لتوسيع رقعة شرعيتها على المستوى الدولي، تلك الشرعية التي تريد من خلالها أن تصبح مرجعية للشعب الفلسطيني لفرض رؤيتها المرحلية لحل الصراع، من أجل استعادة الحقوق التي تنازلت عنها منظمة التحرير الفلسطينية طوال السنوات الماضية.

فالحركة تسعى لإقناع روسيا ومن ورائها المجتمع الدولي برويتها للمفاوضات والتي تتمثل: بقبول حماس دولة فلسطينية على حدود الرابع من حزيران/يونيو 1967 وعاصمتها القدس، مع الاحتفاظ بحق العودة، وإزالة جميع المستوطنات في الضفة الغربية، مقابل هدنة مع "إسرائيل" من دون أن تعترف بوجودها. وتأمل الحركة من خلال تواصلها مع روسيا برفع مستوى التفاهم على واقع ومستقبل الصراع، مما يعطي روسيا قدرة أكبر للتعاطي مع الصراع.

الهوامش

- ¹ بلال الشوبكي، "سياسة روسيا الخارجية تجاه القضية الفلسطينية"، مجلة دراسات شرق أوسطية، عمّان، السنة العاشرة، العدد 34-35، شتاء وربيع 2006، ص 51.
- ² سنثيا انكليزس، "موقف الاتحاد السوفييتي من القضية الفلسطينية ومنظمة التحرير 1947-1982"، مجلة شؤون فلسطينية، نيقوسيا، العدد 148-149، تموز/ يوليو - آب/ أغسطس 1985، ص 27.
- ³ موقع العمق.نت، "الأدلة العملية التطبيقية المعاصرة على علاقة الشيوعية باليهودية"، الجزء الأول، 2010/10/19، انظر:
http://www.al3umq.net/relations-rommunism-rionism/73-applied-empirical-evidence-on-the-relationship-of-contemporary-communism-judaism-1.html#_ftn5
- ⁴ محسن صالح، المشروع الصهيوني والكيان الإسرائيلي (كوالمبور: بروفشينا ل إيغل تريدينغ، 2002)، ص 137.
- ⁵ موقع يا بيروت، 2008/2/11، انظر: <http://yabeyrouth.net/content/view/464/93>
- ⁶ سنثيا انكليزس، مرجع سابق، ص 28.
- ⁷ بلال الشوبكي، مرجع سابق، ص 52.
- ⁸ سنثيا انكليزس، مرجع سابق، ص 28.
- ⁹ نبيل حيدري، "الاتحاد السوفييتي ومنظمة التحرير الفلسطينية"، مجلة شؤون فلسطينية، نيقوسيا، العدد 213-214، كانون الأول/ ديسمبر-كانون الثاني/ يناير 1991، ص 41.
- ¹⁰ سنثيا انكليزس، مرجع سابق، ص 29.
- ¹¹ المرجع نفسه.
- ¹² المرجع نفسه، ص 30.
- ¹³ عصام عدوان، مسار علاقة روسيا بحركة حماس، موقع دنيا الرأي، 2006/2/14، انظر:
<http://pulpit.alwatanvoice.com/articles/2006/02/14/37176.html>
- ¹⁴ المرجع نفسه.
- ¹⁵ سنثيا انكليزس، مرجع سابق، ص 30-31.
- ¹⁶ المرجع نفسه، ص 32.
- ¹⁷ بلال الشوبكي، مرجع سابق، ص 52.
- ¹⁸ سنثيا انكليزس، مرجع سابق، ص 32-33.
- ¹⁹ محسن صالح، دراسات منهجية في القضية الفلسطينية (القاهرة: مركز الإعلام العربي، 2003)، ص 455.
- ²⁰ موقع مركز الإعلام الفلسطيني، 2005/1/31، انظر:
<http://www.palestine-pmc.com/arabic/inside1.asp?x=2879&cat=3&opt=1>
- ²¹ سنثيا انكليزس، مرجع سابق، ص 33.
- ²² موقع جامعة الدول العربية، مؤتمر القمة العربي السابع، الرباط، 1974/10/29-26، انظر:
http://www.arableagueonline.org/las/arabic/details_ar.jsp?art_id=403&level_id=202



- ²³ سنثيا انكليزس، مرجع سابق، ص 33.
- ²⁴ المرجع نفسه، ص 36.
- ²⁵ نيبيل حيدري، "الاتحاد السوفيتي ومنظمة التحرير الفلسطينية"، مجلة شؤون فلسطينية، العدد 240-241، آذار/ مارس - نيسان/ أبريل 1993، ص 31-32.
- ²⁶ بلال الشوبكي، مرجع سابق، ص 53.
- ²⁷ سنثيا انكليزس، مرجع سابق، ص 38-39.
- ²⁸ بلال الشوبكي، مرجع سابق، ص 54.
- ²⁹ محسن صالح، القضية الفلسطينية: خلفياتها وتطوراتها حتى سنة 2001، الطبعة الثانية (كوالالمبور: بروفتشينال إيغل تريدينغ، 2002)، ص 79-80.
- ³⁰ المرجع نفسه.
- ³¹ المرجع نفسه.
- ³² فهمي هويدي، هل وقع منك ارتباط العرب بالقضية الفلسطينية؟، جريدة الشرق الأوسط، لندن، 2005/11/30.
- ³³ محسن صالح، المشروع الصهيوني والكيان الإسرائيلي، ص 139.
- ³⁴ مغازي البدرابي، صراع النفط في روسيا والحرب مع المليارديرات اليهود، جريدة الوقت، المنامة، 2006/12/19؛ وموقع أخبارنا، 2010/11/7، انظر: <http://www.akhbarna.net/more.asp?thisid=9046&thiscat=17>
- ³⁵ بلال الشوبكي، مرجع سابق، ص 59-60.
- ³⁶ المرجع نفسه، ص 62.
- ³⁷ حول التوجهات السابقة، انظر: لمى مضر الامارة، التحولات السياسية في روسيا، موقع مركز الجزيرة للدراسات، 2008/10/25، انظر: <http://www.aljazeera.net/NR/exeres/02E66DF3-D571-48CF-9DFA-226D0FB2F233.htm>
- ³⁸ Zeynep Dagi, "Russia: Back to the Middle East?," Perceptions, *Journal of International Affairs*, Center for Strategic Research (SAM), Ministry of Foreign Affairs of the Republic of Turkey, Vol. XII, spring 2007, p. 123, www.sam.gov.tr/perceptions/volume12/Spring07_zeynep_dagi.pdf
- ³⁹ غسان العزي، روسيا وسياسة الغموض في الشرق الأوسط، موقع العربية.نت، 2010/5/30، انظر: <http://www.alarabiya.net/views/2010/05/30/109962.html>
- ⁴⁰ بشير هلال، المواقف الروسية وصناعة الأوهام العربية، جريدة الحياة، لندن، 2010/5/23.
- ⁴¹ إبراهيم غالي، تغيرات في موسكو وفي الشرق الأوسط، موقع أون إسلام، 2007/10/28، انظر: <http://onislam.net/arabic/newsanalysis/3542/102145.html>
- ⁴² غسان العزي، مرجع سابق.
- ⁴³ المرجع نفسه.
- ⁴⁴ المرجع نفسه.

⁴⁵ عبد الستار قاسم، سياسة روسيا في المنطقة العربية والإسلامية، مركز الجزيرة للدراسات، 2009/8/5، انظر:

<http://www.aljazeera.net/NR/exeres/2AC49409-0FC2-4C3B-B969-4F168A2C0A4F.htm>

⁴⁶ إبراهيم غالي، مرجع سابق.

⁴⁷ المرجع نفسه.

⁴⁸ عباس خلف، حصاد السياسة الخارجية الروسية في عهد بوتين - ميدفيديف، مركز الجزيرة للدراسات، 2010/7/21، انظر:

<http://www.aljazeera.net/NR/exeres/916A1D27-39B0-48BD-8630-27B180AD407E.htm>

⁴⁹ إبراهيم حميدي، روسيا "الموجودة دائماً" تعود إلى الشرق الأوسط عبر سوريا، الحياة، 2010/6/12.

⁵⁰ منير شفيق، العالم العربي في أولويات السياسة الروسية، الجزيرة.نت، 2010/7/27، انظر:

<http://www.aljazeera.net/NR/exeres/8FA8334E-58CE-499C-B09C-EF179ABFF2A7.htm>

⁵¹ بلال الشويكي، مرجع سابق، ص 64.

⁵² المرجع نفسه، ص 68-69.

⁵³ جريدة الشرق، الدوحة، 2006/2/15.

⁵⁴ عبد الستار قاسم، مرجع سابق.

⁵⁵ محمد أبو فاضل، دعوة حماس لزيارة موسكو: الحسابات الروسية والأدوار الدولية، جريدة الاتحاد، أبو ظبي (الإمارات)، 2006/2/14.

⁵⁶ Ilya Bourtman, Putin and Russia's Middle Eastern Policy, *Middle East Review of International Affairs (MERIA) journal*, Vol. 10, No. 2, June 2006,

http://meria.idc.ac.il/journal/2006/issue2/jv10no2a1.html#_edn10

Israel Ministry of Foreign Affairs website, 18/11/2010, <http://www.mfa.gov.il/MFA/>⁵⁷

About+the+Ministry/MFA+Spokesman/2010/Joint-Russian-Israel-intergovernmental-committee-of-economic-cooperation-meets-in-Jerusalem-18-Nov-2.htm

The Russian News & Information Agency (RIA Novosti), 26/10/2010,⁵⁸

<http://en.rian.ru/world/20101026/161086379.html>

The Jewish Agency for Israel website, 8/11/2010, <http://www.jewishagency.org/>⁵⁹

JewishAgency/English/About/Updates/Personal+Stories/Archive/2010/nov08.htm

⁶⁰ الشرق الأوسط، 2008/5/10.

⁶¹ موقع لجنة الانتخابات المركزية - فلسطين، الانتخابات التشريعية الثانية 2006: التوزيع النهائي لمقاعد المجلس التشريعي، انظر:

http://www.elections.ps/admin/pdf/ResultFinal_SEATS_DISTRIPTION-Ar.pdf

⁶² مجلة الأمان، بيروت، 2006/2/17، انظر: <http://www.al-aman.com/subpage.asp?cid=3740>

⁶³ Haaretz newspaper, 10/2/2010, <http://www.haaretz.com/hasen/spages/681159.html>

⁶⁴ جريدة السبيل، عمان، 2006/2/14.



Ministry of Foreign Affairs of the Russian Federation website, 31/1/2006, http://www.mid.ru/Brp_4.nsf/arh/4FA644F7454E6754C32571080047E4D1?OpenDocument

جريدة الخليج، الشارقة، 2010/2/1.

Ministry of Foreign Affairs of the Russian Federation, 31/1/2006, http://www.mid.ru/Brp_4.nsf/arh/784A0038F85FDA38C325710A002B086F?OpenDocument

جريدة القيس، الكويت، 2006/2/11.

جريدة السفير، بيروت، 2006/2/2.

موقع عرب 48، 2006/2/10، انظر:

<http://www.arabs48.com/display.x?cid=6&sid=54&id=34737>

The New York Times newspaper, 10/2/2006.

جريدة الرأي، عمان، 2006/2/10.

Mark A. Smith, "The Russia-Hamas Dialogue, and the Israeli Parliamentary Elections," Conflict Studies Research Centre (CSRC), The Defence Academy of the United Kingdom, June 2006,

[www.da.mod.uk/colleges/arag/document-listings/middle.../06\(24\)MAS.pdf](http://www.da.mod.uk/colleges/arag/document-listings/middle.../06(24)MAS.pdf)

القيس، 2006/2/11.

الخليج، 2006/2/28.

الحياة، 2006/2/15.

الشرق الأوسط، 2006/2/27.

الحياة، 2006/2/28.

الخليج، 2006/2/28.

عرب 48، 2006/3/3، انظر:

<http://www.arabs48.com/display.x?cid=6&sid=7&id=35230>

السفير، 2006/3/1.

وكالة ريا نوفوستي، روسيا، 2006/3/2، انظر:

<http://ar.rian.ru/articles/20060302/43878053.html>

وكالة نوفوستي، 2006/3/2، انظر:

http://ar.rian.ru/hamas_in_moscow/20060302/43877426.html

الشرق، 2006/3/3.

Ministry of Foreign Affairs of the Russian Federation, 3/3/2006, http://www.mid.ru/Brp_4.nsf/arh/4EE3C4A8B30C84F4C3257129002549F5?OpenDocument

The New York Times, 4/3/2006.

السفير، 2006/3/4.

الحياة، 2006/3/4.

جريدة القدس، القدس، 2006/3/4.

الخليج، 2006/3/5.

- 91 Ministry of Foreign Affairs of the Russian Federation, 9/3/2006, http://www.mid.ru/Brp_4.nsf/arh/F2B46F8DD8DB4C39C325712C004C05D1?OpenDocument
- 92 Ministry of Foreign Affairs of the Russian Federation, 31/8/2006, http://www.mid.ru/Brp_4.nsf/arh/2E732D2413DCD022C325712C00370CD4?OpenDocument
- 93 جريدة البيان، دبي، 2006/3/15.
- 94 إيلينا سوبونينا وآخرون، حماس ستان: الإسلاميون يستولون على السلطة بهدوء في فلسطين، جريدة فيرميا نوفوستي، 2006/1/27، ترجمة مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، بيروت، 2006.
- 95 إيلينا سوبونينا، الإسلام ينجح، وسوف ينجح: حماس منظمة ذات جناحين، فيرميا نوفوستي، 2006/1/27، ترجمة مركز الزيتونة، 2006.
- 96 ماريا غرينيشا، فلسطين في حالة فوضى: ثورة إسلامية استلمت الحكم بهدوء، فيرميا نوفوستي، 2006/1/30، ترجمة مركز الزيتونة، 2006.
- 97 فاسيلي سيرغيف، إرهابيو بوتين المكتسبون، جريدة غازيتا، 2006/2/9، ترجمة مركز الزيتونة، 2006.
- 98 ألكسندر زايسيتف وأناتولي جولدوفسكي، غير المرحب بهم قادمون إلى موسكو، غازيتا، 2006/2/9، ترجمة مركز الزيتونة، 2006.
- 99 محسن صالح (محرر)، التقرير الاستراتيجي الفلسطيني لسنة 2006 (بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2007)، ص 26-27.
- 100 جريدة الاتحاد، أبو ظبي، 2006/3/29.
- 101 Ministry of Foreign Affairs of the Russian Federation, 11/4/2006, http://www.mid.ru/Brp_4.nsf/arh/4F6BC7833982DA04C325714E003EC02E?OpenDocument
- 102 وكالة نوفوستي، 2006/5/6، انظر: <http://ar.rian.ru/policy/arab/20060506/47838694.html>
- 103 Ministry of Foreign Affairs of the Russian Federation, 26/5/2006, http://www.mid.ru/Brp_4.nsf/arh/989EBFF58BC3CA35C325717D002E96C4?OpenDocument
- 104 جريدة الغد، عمّان، 2006/7/8.
- 105 جريدة الأخبار، بيروت، 2006/10/20.
- 106 Ministry of Foreign Affairs of the Russian Federation, 21/10/2006, http://www.mid.ru/Brp_4.nsf/arh/89CDF624DE9EE226C325721000588956?OpenDocument
- 107 الشرق الأوسط، 2006/10/24.
- 108 عرب48، 2006/10/21، انظر: <http://www.arabs48.com/display.x?cid=6&sid=54&id=40437>
- 109 وكالة نوفوستي، 2007/2/2، انظر: <http://ar.rian.ru/policy/arab/20070202/60140646.html>
- 110 الشرق، 2007/2/24.
- 111 Ministry of Foreign Affairs of the Russian Federation, 28/2/2007, http://www.mid.ru/Brp_4.nsf/arh/6C119A8477D461E3C32572950035ED47?OpenDocument

- 112 جريدة الأيام، رام الله، 2007/2/28.
- 113 الأخبار، 2007/3/1.
- 114 البيان، 2007/5/25.
- 115 Ministry of Foreign Affairs of the Russian Federation, 13/6/2007, http://www.mid.ru/Brp_4.nsf/arh/D430703989A88B68C32572FA00230351?OpenDocument
- 116 محسن صالح (محرر)، صراع الإرادات: السلوك الأمني لفتح وحماس والأطراف المعنية 2006-2007، ملف الأمن في السلطة الفلسطينية (2) (بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2008)، ص 137.
- 117 وكالة نوفوستي، 2006/6/23، انظر: <http://ar.rian.ru/policy/arab/20070622/67678681.html>
- 118 الأخبار، 2007/6/29.
- 119 Ministry of Foreign Affairs of the Russian Federation, 26/7/2007, http://www.mid.ru/Brp_4.nsf/arh/B3A186E95412BA93C3257325002C57C2?OpenDocument
- 120 الشرق الأوسط، 2007/7/28.
- 121 جريدة عكاظ، جدة، 2007/7/31.
- 122 الخليج، 2007/8/1.
- 123 عكاظ، 2007/8/1.
- 124 الحياة، 2007/7/31.
- 125 الشرق الأوسط، 2007/8/8.
- 126 الخليج، 2007/8/2.
- 127 عرب 48، 2007/8/4، انظر: <http://www.arabs48.com/display.x?cid=6&sid=7&id=47589>
- 128 الخليج، 2008/2/15.
- 129 Ministry of Foreign Affairs of the Russian Federation, 18/3/2008, http://www.mid.ru/Brp_4.nsf/arh/94245BDE9AE691A7C3257411004DEDF6?OpenDocument
- 130 الشرق، 2008/3/22.
- 131 Ministry of Foreign Affairs of the Russian Federation, 5/6/2008, http://www.mid.ru/Brp_4.nsf/arh/AC2724DEF50547B0C3257460002741D7?OpenDocument
- 132 الحياة، 2008/11/5.
- 133 المركز الفلسطيني للإعلام، 2009/1/7.
- 134 بشير نافع، حرب أخرى يمكن أن تنتهي بإخفاق إسرائيلي، الجزيرة.نت، 2009/1/7، انظر: <http://www.aljazeera.net/NR/exeres/7A2F16A6-7293-4591-932C-3FE81501F8A3.htm>
- 135 قسم الأرشيف والمعلومات، مصر وحماس، سلسلة تقرير معلومات (7) (بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2009)، ص 41.
- 136 Ministry of Foreign Affairs of the Russian Federation, 20/2/2009, http://www.mid.ru/Brp_4.nsf/arh/E83506E967DA8409C3257563005338AE?OpenDocument

- 137 الخليج، 2009/12/17.
- 138 الأخبار، 2009/2/20.
- 139 الخليج، 2009/3/28.
- 140 جريدة الدستور، عمان، 2009/5/13.
- 141 جريدة الأهرام، القاهرة، 2009/5/14.
- 142 الشرق، 2009/5/25.
- 143 وكالة نوفوستي، 2010/1/22، انظر: <http://ar.rian.ru/policy/arab/20100122/124794654.html>
- 144 الحياة، 2010/2/5.
- 145 عمرو عبد الحميد، المصالح الروسية بين حماس وطهران، موقع هيئة الإذاعة البريطانية (بي بي سي)، 2010/5/15، انظر: http://www.bbc.co.uk/arabic/worldnews/2010/05/100429_russia_iran_tc2.shtml
- 146 الشرق، 2010/5/17.
- 147 الشرق، 2010/5/17.
- 148 وكالة رويترز للأنباء، 2010/5/12، انظر: <http://ara.reuters.com/article/topNews/idARACAE64B0VV20100512>
- 149 الحياة، 2010/5/14.
- 150 الشرق، 2010/5/17.
- 151 الجزيرة.نت، 2010/5/13، انظر: <http://www.aljazeera.net/NR/exeres/655DD993-BA63-4721-B769-9040243FA8ED.htm>
- 152 Ministry of Foreign Affairs of the Russian Federation, 13/5/2010, http://www.mid.ru/Brp_4.nsf/arh/C81B0624DF47654BC3257723003656B4?OpenDocument
- 153 Ministry of Foreign Affairs of the Russian Federation, 1/7/2010, http://www.mid.ru/Brp_4.nsf/arh/3BAFA1005EA4D2E5C325775300548104?OpenDocument
- 154 جريدة القدس العربي، لندن، 2010/12/7.
- 155 Ministry of Foreign Affairs of the Russian Federation, 13/12/2010, http://www.mid.ru/brp_4.nsf/e78a48070f128a7b43256999005bcb3/a97d1d63bc8810eac32577f8005b8284?OpenDocument
- 156 موقع قناة الأقصى، غزة، 2010/12/13، انظر: <http://www.aqsatv.ps/ar/?action=showdetail&seid=685>
- 157 موقع بوابة الإسلام في روسيا، 2009/2/13، انظر: <http://www.islamrf.ru/ara/news/> وأون إسلام، 2010/11/20، انظر: <http://www.onislam.net/aheritage/ahistory/7149.arabic/newsanalysis/newsreports/muslim-minoritie/126647--20-11-2010.html>

هذا الكتاب

يسلّط هذا الكتاب الضوء على تطوّر علاقة روسيا بحركة حماس، إثر فوزها في انتخابات المجلس التشريعي الفلسطيني سنة 2006، وحتى نهاية سنة 2010، وبيّن خلفيات ومحددات الموقف الروسي تجاه هذه العلاقة، وأهم المحطات التي مرّت بها.

ويوضح الكتاب أن روسيا التي تسعى للعب دور متزايد في الشرق الأوسط وتجاه القضية الفلسطينية، لم تعتبر حماس حركة "إرهابية"، وتعاملت معها بانفتاح، وقدرت لها حجمها الشعبي وشرعيتها الانتخابية؛ كما قام عدد من الزعماء الروس بالالتقاء بقيادة حماس.

ويشير الكتاب إلى أنه في الوقت الذي كانت فيه روسيا تطالب بفك الحصار عن قطاع غزة، فإنها كانت تسعى لدفع حماس بانجاه المشاركة في مشروع التسوية وحلّ الدولتين.

مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات

Al-Zaytouna Centre for Studies & Consultations

ص.ب. 14-5034 | بيروت - لبنان

تلفون: +961 1 803 644 | تلاكس: +961 1 803 643

www.alzaytouna.net | info@alzaytouna.net

